المشرق

رحلة حديثة الى بلاد البادية

للدكتور لويس موسيل

كتب لنا من دمشق حضرة الدكتور لويس موسيل تريل كليتنا في هذا العام كتابًا تاريخهُ ١٧ حزيران سنة ١٨٩٨ استخلصنا منهُ ما يأتي:

«...ها قد وصلتُ والحمد لله الى دمشق قافلًا من السياحة التي كنتُ باشرتها الى البادية لاستكشاف الاماكن التي ورد ذكرها في الاسفار المقدّسة. فقيامًا بوعدي بادرت الى تسطير هذه الألوكة جعلتُها كعُجالة تفيدكم شيئًا من احوالي في رحلتي الأخيرة

كان سفري من غزَّة في ٢٨ اذار ونحن رهط قليلون يصحبنا الاب سليم ساربنا احد كهنة طائفة اللاتين رخَّص لهُ غبطة السيد البطريرك الاورشليمي بان يرافقني ثمَّ سليمان السيَّاح احد بني الحسنات وجمَّالان من قبيلة الترابيين

فكان نزولنا في مساء اليوم الأوَّل في ديار بني الحسنات عند دليلنا سليمان المذكور. وهذه القبيلة تنتسب مع العرب الوحيدات الى الحُسينية إلَّا أنَّهم يشتغلون بالفلاحة لا يتنقَّلون في البادية كغيرهم من العرب. وموقع منازلهم في جنوبيّ غزَّة يغلبُ على بلادهم الآثار القديمة والاخربة العظيمة وكنَّا ضربنا خيامنا بقرب امّ الجرار (Gerara) بيد أنَّنا لم نعثر هناك على بقايا جرار خزفية كما زعم البعض. وامّ جرار هذه مدينة قديمة خطيرة سكنها الملوك لم يبقَ اليوم من آثارها سوى خمس عشرة مطمورة او منطرة كما يدعوها اهلها. وبجوار هذه المدينة يصبُّ وادي شلالة في وادي الشريعة. وللنهر ضفَّتان مرتفعتان كانهما نُحتا نحتًا عموديًّا. وقد هار منهما جرفٌ في بعض المواضع فظهر بانخساف الارض أثر كبير من الفسيفساء

وان سرت من ثمَّ نحو عشرين دقيقةً الى جهة الغرب وجدت على ضفَّة وادي غزَّة الشمالية مشهدًا (وليًّا) يدعونهُ شيخ نَبهان فيهِ كثيرٌ من العَمَد والسواري وهناك بئرٌ طمَّهُ الترابين منذ اربعين سنة . ونظنّ انَّ هذه الاخربة آثار دير ام الجرار الذي ورد ذكرهُ في كتب المؤرّخين

وعند الضفَّة الشمالية يبتدئ اقليم داروم القديم وهي بلاد وصفها الاقدمون بالثروة وخصب التربة فررنا بها غربًا حتى ادّى بنا السير الى دير البلَح احد حصون الصليبيين. وقد بيَّنَّا في مقالةٍ ادرجناها في مجلّتكم (ص ٢١٤) ان هذا الدير هو اوّل ما شيَّدهُ القديس هيلاريون من الاديرة لمن تتلمذ لهُ من الرهبان. وقد وجدت بين آثار هذا البناء القديم ثلاث كتابات يونانية فضلًا عن كتابة رابعة نُقشت بالخطّ الكوفي

وفي ما وراء دير البلَح بقرب ساحل البحر تمتدُّ مفازة واسعة كلّها رمل فتركناها على يميننا وملنا الى جهة الجنوب الشرقيّ فجعلنا نصعد شيئًا فشيئًا على روابٍ قليلة الارتفاع لا يكاد علوّها يتجاوز ثمانين مترًا. فهناك منازل قبيلة العرب المعروفين بالحنابرة يذكّرنا اسمهم بجبل حنجر (Mons Angaris) الوارد ذكرهُ في رسوم پلين الطبيعيّ. وفي ظهر تلك الروابي اخربةٌ من الرخام ونحيت الحجارة تعرف اليوم بسُوق مازن. ولا ريب انَّ هذه بقايا مدينة سيكو مازون (Sycomazon) القديمة وكانت في سابق العهد من المدن الاسقفية

وفي غاية شهر اذار امتطيتُ الجواد لزيارة مدنٍ قديمة اتى ذكرها في اسفار العهد القديم او في التاريخ الكنسيّ في جملة المراكز الاسقفية. فيمَّمتُ البلاد الواقعة في شرقيّ خان يونس وتلّ رَفَح. وبقرب هذا التلّ بئر بقربها عمودان من حجر الصوّان بينهما ثلاثة امتار يدلّان على الحدود الفاصلة الديار المصريَّة عن بلاد الشام. وترى على العمود المجاور لمصر الذي يرتقي عهدهُ الى ايّام الفراعنة كتابةٌ لم يتمّ حفرها يؤخذ منها انَّ سموّ الخديويّ الحالي وصل الى هذا المكان واقام عندهُ نحو نصف الساعة

ولمّا بارحنا تلّ رَفَح قدم علينا شيخ من الترابين كان ناويًا ان يرافقنا في كلّ مدّة سفرنا غير انَّهُ تركنا لمّا بلغنا العريش

وذلك انَّهُ لمّا حللنا الرحال في العريش تواردت علينا الاخبار تنبئنا انَّهُ لا سبيل الى السفر لسببين احدهما قلّة امطار الربيع في تلك السنة فصارت الارض بلقعًا مجدبًا لا يمكن الماشية رعايتها فاقتضى على اهل البادية ان يرحلوا الى جهات الشمال طلبًا للمراعي: والثاني

انّ القبائل المتعادية ركنت الى الحرب والغزو. فطلب الينا الشيخ ان نرخّص لهُ في الانصراف وابى على مثاله الجمّالان ان يرداننا الى حيث قصدنا فرجعا معهُ

بيد انّ هذه الظروف المشؤومة لم تكُ لتثني عزمنا وبعد الجهد الجهيد اتّفقنا مع جمّالين آخرين رضيا بان يباشرا معنا هذا السفر الخطر. فلمّا سرنا من العريش في ٢ نيسان جعلنا سيرنا في وادي المتّسع الارجاء مع قرب غدوه وهذا الوادي تركو فيه المزدرعات وكان وقت مسيرنا قد ادرك فيه الشعير. وعقيب ثلاث ساعات تنتهي المزارع وتبتدئ الفلاة القفرة

فما سرنا في البادية زمناً حتى اشتدّ علينا الحرّ وتلظّى القيظ. وبقينا على ذلك ايّاماً ولمّا كان الاحد الواقع في ٣ نيسان وصلنا الى آكام من الرمل كانت خيلنا تغوص فيها الى لبانها. وكان العطش قد برح بنا فطلبنا الماء ولم ندركهُ الّا بعد ستّ ساعات في جوف غور فاذا به ماء راكد تجمّع من سيل الامطار. وكان لساعد الحظّ قد هطل المطر هناك منذ خمسة عشر يوماً وهي المطرة الوحيدة التي نزلت في طول هذا الشتاء. فتكوّنت المياه في هذا الموضع فصارت كحوض والعرب يدعون هذه الاحواض خَبرة

فبادرنا الى حطّ الرحال واخذنا نصيباً من الراحة. غير انّ الحرّ بلغ ٤٢ درجة في ميزان السنتيغراد ونفحنا الهواء الحارّ حتى اقتضى نصب الخيام لتتّقي من الرمل وكانت الريح تُثير به علينا حتى كاد يغمرنا بتراكمه

ومن هذا المكان تنحدر مياه الامطار هابطة الى جهة الغرب. وعنده ينتهي الرمل فتصلب الارض ويغلب عليها الحصى الصغير الاسود ويبتدئ الجبل

ثم سافرنا من عين المُوَيلح طالبين عين قُدَيس وكانت تلك المرَّة الثالثة لدخولي هذه الاصقاع وخرجت منها سالمًا في طريق لم اسلكها في سفري السابق حتّى وصلنا الى عبدة. فوجدنا هناك آثاراً قديمة منها قبور ونواويس كما في وادي موسى منقوشة بالنقوش البديعة الّا انّ الدهر قد اخنى عليها بكلكله فطمس محاسنها. وحجرها كلسيّ ليس عليه من الكتابات الّا النزر القليل باليونانية مما ليس تحتهُ كبير امر. ولمّا كنّا في عبدة وقع يوم جمعة الآلام فشكرت الله الذي يسّر لي ان اقيم صلاة ذلك اليوم العظيم داخل كنيستين قديمتين وقعتُ هناك على بقاياها الجليلة ولم يدخلها كاهن نصرانيّ منذ اجيال كثيرة. ولم يحسن عرب

عبدة المعاملة الينا في مدة اقامتنا عندهم وكان القُدَيرات والسراحين منهم يرصدون لنا الشرّ

ففي غد ذلك اليوم وهو سبت النور اتى قوم من السراحين فاحاطوا بنا وامسكونا كاسرى. ولمّا جنّنا الليل تمكنّا من الفرار من ايديهم فلم نزل نطوي البيد واصلين السير بالسُرى حتى ادركنا بلاد الصعيديين وكان السراحين يتعقّبون آثارنا فنجّانا الله من كيدهم

ولمّا صرنا على مأمن من السراحين في ضُحى عيد الفصح وجّهنا سيرنا الى الجنوب الشرقيّ تاركين على مسافة يوم ونصف غربًا الطريق المطروقة المؤدية الى المعّنة وتوغّلنا في وسط الجبال صاعدين الى قممها حتى بلغنا علوّ الفٍ وستة امتار. وكان ميزان الترمومتر في صباح ثاني عيد الفصح نزل الى الصفر والبرد يقرس الّا انهُ اخذ بعد قليل في الارتفاع فبلغ بعد الهاجرة الدرجة ٣٥. وكانت القبائل المعادية تقطع تلك الانحاء ذهابًا وايابًا فاضطرّنا الامر بان نأخذ حذرنا ونمشي الهوينا لئلّا يشعر بنا احد فكنّا تارةً نسير في الوهاد واخرى نستتر وراء الاعشاب وحينًا ندبُّ على ايدينا وكانت النظّارة تُطلعني على تقارب العدوّ فنميل الى اليمين او الشمال كما تقتضيه الحال ونحن مع ذلك نخفي آثارنا وآثار دوابّنا

فسرنا على هذا الاسلوب الى ١٤ نيسان وفيه وصلنا الى المعّنة. والمعنة هذه قرية ليس فيها شيء يذكر وهي مركز يسكنها محافظ من الدولة العلية تحت امر والي الحجاز. والحمّى تفتك باهلها فتكًا ذريعًا وقد تحمّلنا في هذه البلدة مشقّاتٍ يطول شرحها رغمًا عمّا اظهر لنا من اللطف والانس ناظم افندي احد ضباط العسكر الهمايوني

فرحلنا من المعّنة وسرنا في وادي الاثم واذا نحن بآثار الطريق القديمة التي ابتناها الرومان وكنت رأيتُ في رحلتي السابقة منذ سنتين رأس هذه الطريق لمّا سافرتُ من الكرك الى وادي موسى فتحقّقت هذه المرّة الاخيرة الامر تمامًا ولا يبقى في حقيقة هذا الاكتشاف ادنى ريب. فهذه هي الطريق التي مرّ بها طرايانس قيصر. يدلُّ عليها ايضًا كتابات وجدناها هناك فضلًا عن حجارةٍ كانت تُنصب في الطريق وتُرقم عليها المسافات

ولمّا وصلنا الى منازل قبيلة العلاويين اكرم شيخهم ابو حسين محمّد بن جاد مثوانا واطلق لنا كلّ حريّة للبحث عن الآثار جزاهُ الله خيرًا

ثم قطعنا جبل الشراة في علوّ ١٦٥٤ مترًا وبلغنا في ١٨ نيسان مدينة مَعان ولم ألبث

ان اتفقّد البلاد الواقعة شرقيّ درب الحجّ . وفي اليوم ٢١ نيسان يمّمنا الانحاء الواقعة في الجنوب الغربي لتشخيص آثار عديدة موقعها في جبل الشراة حوالي الطريق الرومانية المذكورة آنفًا . وفي انحاء وادي موسى قرًى كثيرة كان يسكنها الناس منذ مئة سنة وهي اليوم قفرة ليس فيها ديّار

واقمنا في وادي موسى اسبوعًا كاملًا صرفت ثمّت معظم هذا الزمان في نسخ الكتابات الموجودة . وهذه الآثار الكتابية قليلة في نفس البلدة وفي المدافن المجاورة لها الَّا انَّ منها عددًا وافرًا اذا سرتَ الى الاغوار والوديان المحيطة بالمدينة

ومع ما كابدتهُ من العناء والمشقّات لقد اسعدني الحظ على جمع كمّية وافرة من هذه الآثار الكتابية . ومن جملة ما تيسّر لي اكتشافهُ خطوط نبطيَّة نُقشت على منعطف وادي العَرَبة في غربيهِ . وكان سيرنا من ثمَّ الى فَينان ثم الى الكرك ناهجين الطريق التي سلكها العبرانيون على الرأي الشائع . وكان رفيقي الاب سليم سبقني مع الانتقال فادركتهُ في الكرك في ٢ ايّار . وفي غد ذلك النهار صرَّح لي حضرتهُ انَّهُ لا يستطيع ان يرافقني في بقية سفري

وفي نفس مدينة الكرك تسنَّى لي بأيديهِ تعالى ان اجمع تسع كتابات يونانية . ثم سحتُ متفقّدًا البلاد الواقعة في جنوبيّ شرقيّ بحر لوط لأطَّلع على مواقع المدن المذكورة في الاسفار المنزلة واتبيَّن الطريق الرومانية السائرة من ثمَّ الى مدينة حبرون (الخليل) . فلاحظت ان البحر الميّت لا يزال يمتدُّ كلَّ سنة فيغمر بمائهِ قسمًا من السواحل . اما تربة تلك الاصقاع فهي مَريعة خِصْبة وارضها عذْبة لا اظنّ انَّهُ يوجد مثلها خصبًا في كافَّة فلسطين

وبعد ان عاينت بلاد ادوم ومواب شخصتُ راحلًا الى مادبا . فبلغتها وقضيت فيها عيد العنصرة

ثمَّ امتطيت الهجين بعد يومين مع رجلين من بني صخر وسرنا فشرَّقنا ثم طفنا في بلاد كثيرة الآثار لا يكاد يعرفها السيَّاح لما يكتنف المسافرين فيها من الاخطار العديدة . وتهيَّأ لي ان اكتشف ثمّت بقايا مدنٍ وقصور جمَّة . تشبه ثلاثة منها آثار قصر المشتَّى (راجع المشرق ص ٤٨٣ و ٦٣٠) وقد اخذتُ صورها بالفوتغرافية (راجع ص ٦٣٢) . وفي كثير منها نقوش تنبئ على انَّها كانت لقدماء النصارى

وكانت هذه السنة سنة جدبٍ وقحط في هذه المقاطعة كما في جنوب الشرلك لم

يهطل فيها الربيع وهي ديار لمشاتٍ معادية لقبائل نجد والحرّ فيها شديد تبلغ درجة ميزان السنتيغراد الى الخمسين. وعليه فانّ تفقّد هذه البادية لمن معضلات الامور لا يُدرك بعض مرامهِ الّا من أحبّ التهوّر في الاخطار والتحمّم في التهالك. والحقّ يُقال انّ هذه المخاطر احدقت بنا من كلّ جهة لا يسمح لي البريد بتعدادها

وكانت اقامتنا في هذه الصحارى الى اليوم العاشر من حزيران وعيشتنا كعيشة اهل البادية نقتات بالجراد ونشرب بدلًا عن صافي المياه لبانَ النوق. ولمّا لم نرَ فائدة في مواصلة السفر في تلك البلاد انثنينا راجعين الى ارمامين ثم الى الحصن ثم الى المزيريب وركبنا منها السكّة الحديدية فوصلنا الى الفيحاء. فاسرعت الى رقم هذه السطور ضمّنتها لمّة يسيرة من اخبار سفرنا مع الرجاء. الطيّب ان نفصّل لكم هذه الاخبار عند وصولنا الى طرفكم ودمتم

اقدم اثرٍ لبني غسّان او اخربة اُلمشتّى

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

٣

قد بقي علينا ان نثبت بادلّة راهنة وجود بني غسّان في البلقا. ونبيّن انّ تلك الانحاء ليس فقط كانت تدين لهم خاضعةً بل انّها كانت ايضًا مركزًا حلّوا بهِ زمنًا فتركوا من بعدهم آثارًا لسكناهم. وتلك قضيةٌ لا تخلو من بعض الصعوبة لانّ امراء غسّان جمعوا بين حياة البادية والحضر وهم مع ذلك لا يكفّون عن الغزو وشنّ الغارات

(نقول) يؤخذ من دواوين الشعراء الذين قصّدوا القصائد في مديح بني جفنة وانقطعوا الى خدمة ملوكهم لا سيّما النابغة وحسّان بن ثابت ان سكنى الغسّانيين كانت في الغالب انحاء جَولان لوقوع هذه البلاد بجوار دمشق وكانت الفيحاء وقتئذٍ دارَ ولايةٍ يسكنها عمّال ملوك الروم يبلّغون امراء البادية نيّات سادتهم. وكان الغسّانيّون يجدون ايضًا في سكنى جَولان سببًا آخر حملهم على اختيارها دون سواها وهو انّ جولان كانت في وسط مملكة غسّان الممتدّة كما قلنا سابقًا من جهة الجنوب الى بحر القلزم ومن جهة الشمال الى ضفّة الفرات. وكانت

تدمر وضواحيها من جملة البلاد الشمالية المذعنة لاوامرهم · كما انّ اقطار وادي اليرموك ووادي الاردنّ كانت تحت سلطانهم جنوبًا(١ . فهذه الدلائل تؤدي بنا الى حدود البلقاء الشمالية

وقد زاد النويريّ المؤرّخ الشهير ايضاحًا فدعا بعض ملوك بني جفنة باسم ملك البلقاء. وورد ايضًا في كتاب ترجمة بطرس الايبريّ(٢ انّ مقاطعة مادباء كانت انضوت تحت لواء شيعة المونوفيزيتيين القائلين بطبيعة واحدة في المسيح ولعلّ ذلك جرى بإيعاز الغسّانيين الذين كانوا من اقوى انصار هذه البدعة حتّى انّ اسم الغسّانيين كان مرادفًا للمونوفيزيتيين

هذا وانّ سلطة بني غسّان كانت في البلقاء انفذ منها في سواها من البلاد المجاورة لدمشق كحوران وجَوْلان وسبب ذلك انّ هذه المقاطعة كانت قليلة المدن فلم يرضَ ملوك القسطنطينية ان يعيّنوا لهم في قراها عمّالًا من الروم فكان لذلك معظم الحلّ والعقد في يد امراء غسان يتردّدون الى نواحيها للنظر في شؤونها

ولنا ما عدا هذه الدلائل العمومية بيّناتٌ اخصّ واوضح وردت في تاريخ حمزة الاصبهانيّ وهو احد كتبة العرب الذين تثبّتوا الامور التي رووها في تآليفهم. وقد شهد له في حسن تنقيره العلّامة نولدك

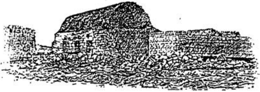
فذكر حمزة في تاريخه عدّة بنايات لبني جفنة ووصف سوادَهم الاعظم بالكلَف في تشييد الابنية الجليلة. واذا مرَّ عليه اسم بعض ملوكهم ممّن لم يخلّفوا بعدهم شيئًا من ذلك فلا يسهو الكاتب عن ان ينبّه الافكار على الامر كأنّه يستغربهُ فيقول: «ولم يبنِ شيئًا» او «ولم يحدث شيئًا». وغاية ما دوّنهُ في تاريخه عن بني غسان تعداد القصور والاديرة والقنيّ وغير ذلك من المآثر التي شيّدوا اركانها

وان قال قائل انّ في رواية حمزة لغلوًّا ظاهرًا وانّ كثيرًا من هذه الابنية لم يُعرف لها اثر اجبنا انّهُ ولو سُلّم بذلك لا بُدَّ من قبول شهادة حمزة كتقليد متواتر بين العرب يعزون بناء القصور وغيرها لبني غسّان فنقل هذا المؤرّخ تلك الرواية ودوّنها في كتابهِ في القرن العاشر للمسيح(٣

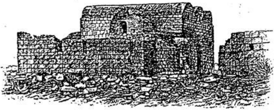
١) راجع مروج الذهب للمسعودي (٣: ٢٢١) ومعجم البلدان لياقوت (٢: ٩٣٦)

٢) راجع Raabe : *Petrus der Iberier*, 81-82

٣) ومن احبَّ ان يطّلع في ذلك على بعض تفاصيل فعليهِ بمقالة كتبها الدكتور نولدك في



قصر طوبة (نقلاً عن صورة فوتغرافيَّة للدكتور ل. موسيل)



قصر عمرة. (عنهُ)

فقال حمزة في معرض كلامهِ عن ثعلبة بن عمرو بن جفنة (ص ١١٧): « وبنى عقّة وصرح الغدير في اطراف حوران ممّا يلي البلقاء » فيؤخذ من هذا الكلام انّ لبني غسان آثارًا في جوار البلقاء وأننا لا نشطّ شططًا اذا ما بحثنا عن ابنيةٍ من اعمالهم في نفس هذه المقاطعة. ثمّ اردف حمزة قولهُ فكتب عن ثالث خلفاء ثعلبة وهو جبلة بن الحارث: « وبنى في ملكهِ القناطر وادرح والقسطل » فموقع « ادرح » المذكورة في قضاء معان بعيلةٍ الى شمال هذه المدينة (١ ولا تزال الى يومنا هذا اخربة قلعةٍ تشبه هندستها قصر المشتّى فلها كالمشتّى سورها وبروجها المستديرة على هيئة نصف حلقة. ويليها كنيسة وجهتها نحو الشرق كبقية الكنائس الشرقيّة ألّا انها خارجة عن السور وقد عاينها مؤخرًا الدكتور لويس موسيل تريل كلّيتنا فوصفها لنا وصفًا مدقّقًا

ونظنّ ان القناطر التي ورد ذكرها في تاريخ حمزة انّما يُراد بها القُنَيطِرة وذلك هو رأي الدكتور موسيل الذي رآها في سفرهِ الاخير. والقنيطرة هذه قلعة صغيرة في جنوبي المشتّى على مسافة نحو سبعة كيلومترات منهُ لم يبقَ من آثارها سوى اساس جدرانها. وقد زعم البعض انّ القناطر المذكورة في قول حمزة هي القناة الضخمة المدعوّة اليوم بقناطر او قناة فرعون كانت في قديم الزمان تسيل فيها المياه الى مدينة اذرعات في حوران (٢ ولكن ترى ماذا يكون حمل ملوك البادية وامراء غسّان على بناء هذه القناة مع ما كانت عليهِ حوران في زمانهم من التمدّن والفلاح وهي عنهم في غنى للقيام بمثل هذا المشروع (٣. وهذه القناطر لا يراد بها قناطر مدينة الرَّصافة (Sergiopolis) حيث استشهد القديس سرجيوس وبها كانت ذخائرهُ وكان بنو غسّان يكرّمون هذا الشهيد اكرامًا جزيلًا فحملتهم عبادتهم الى ترميم قناطر هذه المدينة كما سلّم بذلك الدكتور نولدك

المجلّة الشرقية الالمانية ZDMG, XXIX, 419-444 عنوانها *Zur Topographie u. Geschichte...der Haurângegend*

١) راجع المقدسي ص ١٧٨ وياقوت الحموي (١ : ١٧٠) والهمذاني (ص ١٢٩) الخ

٢) قيل ان هذه القناة كانت تنتهي الى مُكَيْس المسأة عند الاقدمين غدارة في ناحية عجلون. ألّا انّنا نرتأي مع الدكتور شوماخر انّ هذا رأي غير راجح (راجع Das südliche Basan, 1897, p. 127, 184)

٣) راجع نولدك Die Ghassânischen Fürsten, p. 50

امّا القسطل فموقعهُ في وسط البلاد التي نحن بصددها لا تبعد عن المشتّى ألا بمسافة بضعة كيلومترات في شماليهِ الغربي. واسمهُ الاعجمي (Castellum, Καστέλλιον) يدلُّ على انّهُ كان مركزًا قديمًا لجنود الرومان ويرجح انَّ الغسّانيين تزلوهُ بعدهم وسموا بترميمهِ

وقال ايضًا حمزة يذكر الحارث بن جبلة ما حرفهُ: «وكان مسكنهُ بالبلقاء. وبنى بها الحفير ومصنعهُ بين دَعْجان وقصر أُبَيْر ومعان». فحفير هذه مذكورة في تاريخ المسعودي (٣: ٣٨٩) كمنزلٍ حلَّ بهِ بنو غسان لم نجد لها ذكرًا في غيرها من المؤرّخين. والمرجَّح انَّ موقعها كان على ضفّة نهر الحفير «وهو نهر بالاردنّ بالشام من منازل بني القَيْن بن جَسْر (١)». فمن المقرّر انَّ بني القَين او بَلْقَين كانوا يسكنون في جنوبيّ بلاد غسّان اعني بلاد موآب وادوم القديمة. يتعيَّن ذلك من اسماء البلدان المذكورة في حدود بلادهم

ودَعْجان السابق ذكرها في حمزة على مسافة اربع ساعات من معان في شمالي شرقيها وفيها اليوم آثار ابنية شبيهة بالمشتى. وقال ياقوت (١: ١٠٩): «انَّ قصر ابير في بلاد بني القين». ولعلَّ هذا القصر هو الذي يدعى اليوم بقصر باير على مسافة يومين من معان من جهة الشرق. وقد اجتاز الدكتور موسيل بقرب هذه الأخربة فرآها من الطريق واخبرنا أنها تشبه اخربة المشتّى ألا انّها اصغر منها

فلنرجع الآن الى المشتّى فنقول لا شكَّ في انَّ بني جفنة سكنوا البلقاء. وبيَّنَّا في ما سبق انَّ كثيرًا من الابنية التي عزاها لهم حمزة الاصفهاني في القرن العاشر لا يزال منها آثار الى اليوم. أفليس يحقّ لنا ان ننسب اليهم بناء المشتّى

أجل انَّ كَتَبَة العرب لم يذكروا المشتى بين ابنية الغسّانيين بل ولم يعرفوا اسم هذا البناء وهو اسمٌ حديث ولكن ليس سكوتهم هذا بحجّةٍ كافية فانَّهُ قد فاتهم ايضًا ذكر ابنية كثيرة شبيهة ببناء المشتى على مسافات مختلفة من هذا القصر وقف عليها الدكتور موسيل في سياحتهِ الاخيرة (راجع كتابهُ في صدر هذا العدد والصورتين في الصفحة ٦٣٢) وممّا وجدهُ من هذا القبيل «قصر طوبة» وهو بناء عجيب على مرحلة يوم ونصف من القطرانة في شرقيها موقعهُ في وادي الغَدَف عند مصبّ وادي مُحَوَّر. وهذا الاثر القديم اشبهُ شيء

١) ياقوت (٢: ٣٩٦)

بالمشتى فترى لهُ سورًا خارجيًا وابراجًا على شكل نصف حلقةٍ وحجرًا مقبّبةً ونقوشًا جميلةً. الّا انَّ سوره قد تهدّم لانَّ الآجر الذي اتُّخذ لبنائهِ من صنف دون آجر المشتى (ص٦٣٢)

ومن ذلك ايضًا «قُصير عمرة» في شرقيّ المشتى بعيد الى الشمال على مسافة يوم ونصف منهُ. وبناؤُه كبناء المشتى بيد انَّهُ لا سور لهُ وهو مبنيٌّ بنحيت الحجارة

٤

فترى مما سبق انَّ هندسة كلّ هذه الابنية متشابهة كأنها بُنيت على مقتضى رسم واحد انما اختلافها في كبرها ومواد بنائها. فينتج من ذلك أنها من آثار شعب واحد ودولة واحدة

ولعلَّ معترضًا يعترض علينا بقوله انَّ في هذه الابنية رسومًا من شكل الهندسة البزنطية

فنجيب انَّ هذا الاعتراض لا يدحض مقالنا لانَّ عرب الشام لم يكن لهم هندسة خاصَّة بهم فلمَّا ارادوا بناء قصورهم دعوا لرسمها وتشييدها مهندسين من الروم لما كان بينهم وبين ملوك القسطنطينية من العلائق الوديّة وهم ولاتهم في بادية الشام. وقد بُنيت هذه القصور في بلاد خالية خاوية لا تصلح للروم والفرس ولكنَّها تليق بملوك غسّان. كيف لا وعندها الارياف التي كانوا يرعون فيها مواشيهم ونؤيّد هذه القضيَّة بالملاحظة الآتية التي من شأنها ان تزيدها ترجيحًا وان لم تبتّ الامر بتًّا تامًّا

قال الدكتور برونوف الذي عنهُ نقلنا الاسطر السابقة: « انَّ النقوش الغريبة المرسومة على وجه قصر المشتى التي نسبها البعض الى العجم قد وجدناها على حُبّ كبير (زير) نقشها عليهِ اهل الجولان في قرية خصفين. ولا يضرّ ان يكون الحُبّ حديث الصُّنع فانَّ رسم مثل هذا النقش يدلُّ على انَّ سكّان تلك البلاد قد اعتادوا هذه الاشكال تناقلوها بينهم عن اجدادهم في ارض طالما سكنها بنو غسّان. وبين هذا النقش ونقش آخر ورد في علوّ بعض ابنية السويداء شبهٌ ظاهر (١

وقال ايضًا الدكتور المذكور: « وقد وجدنا ايضًا في قلعة عمّان حنيَّة ومدخل متّجه الى

---

١) السويداء قرية من اعمال حوران (راجع ياقوت ٣: ١٩٧) ومراصد الاطلاع ٢: ٧٠) فيها بقايا ابنية للسأنيين على ما روى حمزة وابو الفداء وابن خلدون

الجنوب فهذه الحنيَّة كثيرة الشبه بحنيَّة المشتَّى(١ ». قلنا وعمَّان من المحالّ التي يُروى من بني جفنة أنهم سكنوها

وزاد ايضاً الدكتور برونوف شهادة ثالثة على ما سبق ألا وهو التشابهُ الموجود بين بناء المشتى واثر آخر استولى عليهِ الخراب يدعى الخربة البيضاء موقعهُ عند واحات رُحْبة في دائرة التلول في جنوبي شرقي دمشق. ولهذا البناء كما للمشتى سور مربع وابراج مستديرة الشكل ونقوش تمثّل قضبان الكرمة وحيوانات شتَّى وانَّما صناعتها من حيث الاتقان والدقَّة دون نقوش المشتى. قال دي فوكويه (٢: « وكلّ هذه النقوش مع ما فيها من الدلائل على الهندسة الروميَّة لا تخلو من خواصّ انفرد بها اهل الشرق » هذا ولا يُنكر ان رُحْبة المذكورة كانت في دائرة ملك بني غسَّان وليست هي بعيدةً عن موضع يُعرف بالبرج فيهِ الى اليوم كتابة يونانية امر بنقشها(٣ « البطريقُ الشريف والامير المُنذِر (Αλαμούνδαρος) » وكانت سابقًا فوق عمارة بناها هذا الملك. فلم يشكّ المسيو دي فوكويه ان ينسب بناء خربة البيضاء الى احدى القبائل التي قدمت من جنوبي جزيرة العرب ولعلَّهُ لاحد ملوك غسان الذين تولوا الامر في هذه الجهات

ولقائل ان يقول ولِمَ لا تنسب الى الرومان المشتى والبنايات الشبيهة بها؟ أجيب ان للرومان في البلقاء آثارًا عديدة من قلاع ومحالّ حصينة لجنودهم ولا نرى بين هندسة هذه الآثار وهندسة البنايات التي وصفناها من شبهٍ فانَّ اسوار الآثر الرومانية مرتفعة نحو ضعف ارتفاع هذه الاخيرة وترى ابراجها مربَّعة الشكل لا مستديرة كالمشتى كانَّ غاية الرومان في تشييدها المدافعة كما يليق بالقلاع الحريزة بخلاف الابنية التي نحن بصددها فانها جامعة بين هندسة القصور والقلاع معًا

وعلاوة على ذلك انَّ مواقع هذه الآثار الرومانية كلها على احد جانبي درب الحجّ لصيانة الثغور من غزوات البدوان فلا سبب اذًا للرومان ان يبنوا ابنية في وسط البادية على مسافة نيّف ويومين من الحدود كما يظهر ذلك من بنايتَي قصر طوبة وقُصَير عمرة. فاذا لم

١) راجع Mittheilungen u. Nachr. des D. P. V., 1895, p. 87.

٢) راجع كتابهُ المعنوَن Syrie Centrale, Architecture civile et religieuse, p. 70.

٣) راجع Waddington, n° 2562

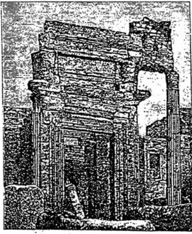
تصحّ نسبة هذين القصرين للرومان فلا سبيل الى القول بان المشتّى من عملهم لما بينهما وبينهُ من شبه الهندسة . فهذه هي الاسباب التي حملتنا على عزو المشتى لبني غسّان بناه بامرهم مهندسون روميّون كبقيّة عمائر البلقاء . هذا رأينا والله اعلم

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ

(تابع لما سبق)

فلم يجاوب شابور على طلبة أذينة بل تجبَّر وتكبَّر وامر بخرق الرسالة ورمى الهدايا في الفرات



مدخل قصر أذينة وزينب (عن صورة شمسيّة)

فلمّا رجع رُسُل أذينة الى تدمر واعلموهُ ماكان من امرهم ثار ثائرهُ وتلظّى غيظاً ثمَّ صمّم على الانتقام من شابور وتأهّب لمحاربة الفرس وانتدب لذلك قبائل العرب فلبّوا

الى دعائهِ وطاروا اليهِ زرافات لجمعهم بظاهر تدمر وولّى رئاستهم ابنهُ هروديس (وامهُ غير زينب). وضمّ اليهم فرسان تدمر وقوّاسيها وجعلهم تحت امر زَبدا كبير قوّادهِ وزبّاي زعيم فرسانهِ (١ وحشد معهم الكتائب الرومانية التي كانت وتتنقل في الاقاليم الشرقية وألحق بهم بعض الجند الذين افلتوا من هزيمة ولريانس وتوجه توًّا الى المدائن

وكان شابور بعد ان دوّخ عساكر القيصر قد اخذ نغزو الانحاء الشمالية واوقع في

---

١) وكان زبدا (זבדא) وزبّاي (זבי) من آل سبتيمة اي من قرابة أذينة. (راجع V. 28 و Schröder p. 20) ولا شكّ في انّ المؤرخين الذين قالوا ان زينب كانت اختًا للزبّاء شُبّهت عليهم الاسماء فنسبوا لاخت ملكة تدمر ما يصحّ عن بعض انسابها وهو زبّاي القائد المذكور كما انّهم نسبوا لزبّاي هذا (بصورة الزبّاء) كل ما فعلهُ ملكة تدمر وكان عرب الجاهلية يعرفون زبّاي القائد حق المعرفة لكثرة ما كان بينهم وبينهُ من العلائق في امور الحرب والغزو. فاتى خَلفهم بعدهم ولم يفرقوا بين هذه الاسماء. وذلك على الرأي الأعمّ مصدر الاغلاط التي وقعت في تآليف العرب بصدد اسم زينب وجنسيتها واخبار اختها الموهومة وقوّادها

وهنا يحسن بنا ان نعود الى ذكر القناة الرومانية (راجع مقالتنا الاولى ص ٦٣٥) المبنيّة بجوار بيروت التي ينسبها بعض السوريين الى زينب وغيرهم الى زُبَيدة. فخلطوا ايضًا بين الاسمين وشطّوا في المقال. نعم اننا لا نجهل انّ زينب ملكة تدمر وزبيدة زوجة هرون الرشيد الشهيرة الطائرة في انحاء الشرق اشتهرت كلتاهما بجمالها وآثارها العديدة الّا انّ بينهما ايضًا تباينًا عظيمًا. فان قيل ان اهل سوريّة نسبوا الى زُبَيدة بناء هذه القناة لانّها بنت قناة اخرى لاستجلاب مياه بعض العيون الى مكّة فخلطوا بين القناتين أجبنا انّ في هذا الامر نظرًا لانّ اهل سواحل الشام يجهلون مثل هذه الاخبار التي لم يروها الّا بعض افراد المؤرخين وان قيل ان السوريين لاسيما النصارى منهم يتناقلون بينهم اخبارًا عجيبة في شأن زُبيدة (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني ٣: ١٦١) قلنا ليس ذلك بسبب كافٍ لأن ينسبوا اليها بناءً لم تشيدهُ بل لم تعرف وجودهُ في وادٍ من اودية جبل لبنان

وان سألنا احدٌ عن رأينا أجبنا مستندين على رأي العلّامة دي ڤوكويه (n°84) ان الاهلين ارادوا بزيدة لا زوجة هرون الرشيد بل ملكة تدمر. لكنهم خلطوا بين اسمها الصحيح بَتْ زَبِّينة (راجع ص ٦٣٩) وبين اسم آخر يشبههُ غاية الشبه وهو بَتْ زَبِيدة يبدل النون دالًا. وهذا التصحيف قد سهّل انتشارهُ بين العامة لانّ اسماء كثيرة تدمرية وردت على هذه الصورة الاخيرة. ثمّ شاع بعدئذٍ اسم زينب على هيئتهِ الاخرى اليونانية (راجع ص ٦٣٩). فلمّا سمع الخَلَف هذين الاسمين ظنّوا انّ المراد بزيدة زوجة هرون الرشيد وكانت اذ ذاك ألسنة الجميع تنطق باعمالها وتترنّم بالثناء عليها مع ما ورد من ذكرها في حكاية الف ليلة وليلة

قلوب الاهالي الرُّعب والهلع . فانتهز هذه الفرصة وزحف الى انطاكية (١ وفتحها عنوة واباد سكانها قتلًا واسرًا . ثم استأنف السير الى بلاد قبادوقية وليقاونية و قيليقية وتوغّل فيها حتى انتهى الى مدينة پمپيوپوليس الساحلية فشرع بمحاصرتها . وبينما هو على ذلك اذ فجئهُ قائد روماني مستقلّ اسمهُ كاليستوس (ويروى باليستا) وشتَّت شمل جموعهِ فاجفل الفرس مسرعين الى بلادهم(٢

فلمَّا علم أذينة وهو على طريق المدائن ما لحق بالاعداء من سوء المنقلب انثنى راجعًا وسار الى ملاقاة الفرس باسرع مدّة وادركهم قبل عبورهم الفرات . ثم نهض اليهم وقاتلهم اشدّ قتال فدارت الدوائر على الفرس ثانية وعبر كسرى النهر مهزومًا مدبرًا . فغنم أذينة امواله واسر حرَمَهُ وكاد ينقذ وَلريانس القيصر من ايدي العدوّ . وممَّا ورد في التواريخ القديمة ان زينب كانت بصحبة زوجها وان هروديس وقبائل العرب ابلوا في هذه الوقعة احسن بلاء (٣

فلمَّا انقضت الحرب بعث ملك تدمر الى غاليانس بن ولريانس رسلًا يخبرونهُ بكسرة الفرس ويضمنون لهُ بخلوص نيَّة أذينة وصدق خدمة التدمريين للدولة الرومانية . فوقع هذا الخبر في قلب غاليانس احسن موقع ورفع منزلة أذينة ودعاهُ قائدًا عامًّا على جميع عساكر المشرق وحثَّهُ حثًّا قويًّا على مواصلة حرب الفرس لينقذ ولريانس اباهُ من ايدي شابور

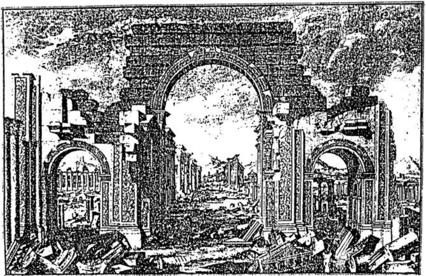
ولم يلبث أذينة الَّا يسيرًا حتى ركب ثانيةً في عسكره فاطلقهم على بلاد الجزيرة

---

١) والمؤرخون الذين يجهلون خروج كيريادس (راجع ص ٥٩٢) بعد هزيمة ولريانس يخبرون ان هذا الخائن هو الذي ارشد شابور الى انطاكية ويزيدون على ذلك ان كسرى رقّاه الى الدرجة الامبراطورية احتقارًا لشأن الرومان . الَّا ان كيريادس لم يلبث على العرش سوى شهر او شهرين فخرج عليهِ القوم واحرقوهُ حيًّا . (راجع - Miller : *Hist. Græc. Frag. t.* IV. p. 191 وزوناراس ٢١ : ٢٣ ولينورمان *La Monnaie dans l'antiq.* II, 386)

٢) راجع زوزيموس ١ و ٢٢ و Petr. Patric. *Excerpt.* p. 25, 29

٣) ومُعظم المؤرخين يقولون ان أذينة لم يقصد من هذه الحرب الَّا الانتقام من سوء تصرف شابور نحوه . (راجع الطبريّ في تاريخ الساسانيين ترجمة نولديك ص ٣٢ : ٤) وهذا اقرب الى الصواب لان أذينة لم ينتصر للدولة الرومانية ولم يخلص لها المحبة الَّا بعد ان رفعهُ غاليانس الى مرتبة امير عامّ على العساكر الشرقية . (راجع ما سبق في هذه المجلة الصفحة ٥٩٢)



صورة قوس الانتصار في تدمر (كما كان في اواسط القرن الثامن عشر)

وفتح نصيبين وحرّان وضمّها الى اقاليمهِ واخذ منها بعض الجنود فبادر الى محاصرة المدائن. فخاف شابور على حاضرة ملكهِ وندم على ما فرط منهُ في حقّ أذينة اذ ردّ رسلهُ ورفض معاهدتهُ ولكن فات حين ندم. فلم يبقَ لملك الفرس الّا ان يتلافى الامر فيمنع التدمريين من غزو ممالكهِ. فندب لذلك جميع مرازبتهِ وارسل المجوس الى اقاصي فارس ليحرّضوا اهل دولتهِ على قتال أذينة والرومان فجمعوا لهُ عسكرًا كثيفًا واستعدّوا للقتال. وما كاد أذينة يصل الى جوار المدائن حتى التقى الجمعان واشتدّ القتال وحمي الوطيس وكانت الغلبة للتدمريين فولّى شابور هاربًا الى عاصمتهِ تاركًا نساءهُ وحشمهُ (٢٦١ م). فتبعهُ أذينة وتقدّم بحصر تلك المدينة المشهورة التي كانت تُعدّ وقتئذٍ من اجمل مدن الشرق واحصنها(١ فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وآلات الحرب فاشتدّ الامر على كسرى وذويهِ حتى كاد يلتمس منهم الأمان

الّا انّهُ قد اتت لأذينة اخبار كدّرت نفسهُ واقتضت انقطاعهُ عن محاصرة المدائن. فان مكريانس ذلك القائد المحتال الذي خان والريانس كان قد صمّم على اغتصاب منصّة القياصرة. وقد شجّعهُ على عزمه الشنيع كاليستوس القائد الذي ردّ شابور عن قيليقية. فسماهُ مكريانس واليَ الجندية (Préfet du prétoire) اي نائبهُ الاعلى في سياسة الامور المدنية والعسكرية واتّفقا معًا على استمالة العساكر الرومانية فبويع لمكريانس في بلاد آسية الصغرى ومصر ولاسيَّما في الاسكندرية حيث ضرب هذا المغتصب نقودًا عديدة تشهد الى يومنا بقحتهِ وسوء تصرّفهِ

وكانت في تلك الايام مملكة الرومان في اضطراب عظيم وقلق جسيم لم يُرَ مثلهُ في ما مضى من الزمان. فكان يُسترموس قد خرج على غاليانس (٢٦١ م) وقتل ابنهُ

١) راجع زوزيموس ١ وتريبليوس *Trig. Tyr.* 14, *Gall.* 3 وقد اكثر العرب من وصف المدائن واسترسلوا في ذكر ايوان كسرى وبنائهِ العجيب قال البحتريّ (راجع ديوانهُ ص ١٠٨)

وكأنّ الايوان من عجب الصنعة جوبٌ في جنب أرعن جلسِ
مشمخرٌّ تعلو لهُ شرفاتٌ رُفعت في رؤوس رضوى وقدسِ
ليس يُدرى أصنعُ إنسٍ لجنٍّ سكنوهُ ام صنعُ جنٍّ لإنسِ

فللجنّ كما ترى اليد الطولى في امور البنيان عند فحول شعراء العرب نسبوا اليهم ايوان كسرى كما نسبوا ابنية تدمر وبعلبكّ وغيرها من اعمال الجبابرة

سالونينوس واختطف الاقاليم الغربية واما مكريانس الخائن فكان بعد اغتصابهِ الاقاليم الشرقية ارسل پيزون احد قوّادهِ الى محاربة والنس والي اخائية من بلاد اليونان. فلمّا علم والنس انَّ پيزون زاحفٌ اليهِ ناويًا مبارزتهُ ادَّعى الملك لنفسهِ وبايعتهُ العساكر التي كانت تحت امره. فتخوَّف پيزون من تقصيرٍ يقع بهِ اذا تعرَّض لهُ ودخل ولايتهُ فوقف في بلاد تسالية واستمال اليهِ جنودهُ ولم يزل يستعطفهم حتى اختاروهُ لهم ملكًا وخوَّلوهُ رتبة القيصر. وكذا فعل قائد آخر يسمَّى أُرِيولوس بنواحي إلّيرية وحذا مثالهم قائد رابع اسمهُ اميليانس بالاقطار المصرية

وبينما كان هؤلاء الخوارج يكدّرون صفاء كاس الدولة ظهر القوط وغاروا على ولايات ثراقية واخائية وسواحل آسية الصغرى فنهبوا البلاد وفتكوا بسكّانها وقوَّضوا الابنية ومن جملة الآثار التي خربوها هيكل مشهور في مدينة افسس مختصّ بعبادة الإلهة «ديانة» وكان هيكلًا بديع الصنع يُعدُّ من عجائب العالم السبع. وفي تلك الاثناء برز قوم اخر من البرابرة يقال لهم الهيرول (Hérules) واخذوا يغزون جزائر الارخبيل وشواطئ بلاد اليونان. وزد على ذلك زلازل عديدة طرأَت على انحاء المملكة فانهدمت من جرّائها عدَّة مدن مع ما سرى من انواع العاهات والعدوى التي ارتعدت لها فرائص الامم (١. ولسوء الحظ لم يكن على عرش رومة من يقوى على مقاومة الخوارج واصلاح الفساد الذي استشرى في المملكة. وكان واليريانس معتقلًا لم يزل في ايدي شابور مع ما بذل أذينة من الجهد في استنقاذهِ من العبودية والهوان (٢ امّا غاليانس فانهُ لم ينهض باعباء السياسة نهوضًا لائقًا (٣ رغمًا عمَّا وصفهُ بهِ بعض المؤرّخين من الحزم والقوَّة بل بقي متردّدًا في امرهِ لا يدري كيف يسدُّ الخلل ويضمُّ متفرّق النَّشر وعليهِ فكنتَ ترى الممالك يتفاقم فيها الفساد فتستقلّ اقليمًا بعد آخر حتى انَّ المؤرّخين سمّوا هذا الزمان عهد الثلاثين ظالمًا (٤ (ستأتي البقية)

---

١) وفي ذلك الوقت ظهر الوباء المسمَّى الطاعون الشرقي فانتشر في الاقاليم الشرقية لا سيما في بلاد مصر فاصاب هذا الداء الهائل جمًّا غفيرًا من اهلها اغتالتهم المنية بعد ان اذاقتهم مرَّ النكال

٢) قيل ان واليريانس مات حتف انفه في نحو السنة ٢٦٢ الّا ان شابور لم يزل ينكّل بهِ حتى المات. فلمّا قضى نحبهُ دبغ جلدهُ وصبغهُ بلون احمر وعلّقهُ في معبدٍ من معابد فارس استصغارًا لشأن الرومان (راجع Lactant. *De morte persec.* 5 و Petrus Patric. *Excerpta*, p. 26)

٣) راجع تريبليوس *Gall. duo* 16, 17, 21   ٤) اطلق الكتبة هذه التسمية على ذلك العهد مرمّزين بالثلاثين منتصبًا الذين ظهروا في اثينة لكنَّ ذلك لا يطابق واقع

كتابُ النبات والشجر للاصمعي

سعى بنشرهِ الدكتور اوغست هَفْنر

(تابع لما سبق)

[فَصْلٌ فِي أَسْمَاءِ ٱلذُّكُورِ]

(وَمِنْ أَسْمَاءِ ٱلذُّكُورِ) ٱلْقُرَّاصُ[1]، وَٱلْخُزَامَى[2]، وَٱلْأُقْحُوَانُ[3]، وَٱلْحُرْشَاءُ[4] وَهُوَ خَرْدَلُ ٱلْبَرِّ، وَٱلنَّهَقُ[5]، وَٱلْكَحْلَاءُ[6]، وَٱلْيَعْضِيدُ[7]،

الحال لانّ عدد هؤلاء البناة لم يبلغ الثلاثين وانما كانوا تسعة عشر او عشرين فضلًا عن ان المؤرّخين لم يصيبوا بنسبتهم الى هؤلاء الرجال البغي والظلم فان بعضهم كانوا قوّادًا معتبرين دافعوا عن حدود المملكة الرومانية بما اخذوا من الوسائل المانعة ضد البرابرة

١) وفي الاصل قُرّاض وهو تصحيف هو نبتٌ يطول ويسمو كالجرجير لهُ زهرةٌ صفراء وهو حارٌّ حامض يقرص اللسان وحبُّهُ صغار حُمر تحبُّهُ السَّوام. وقد قيل انّ القرّاص البابونج. وهو نَوْر الأُقحوان اذا يَبِس (Lc., Camomille, Parthenium)

٢) قال ابو حنيفة: الخُزامى عُشبةٌ طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نَوْر كنور البنفسج (L., B., Lc., Lavande spica [Giroflée sauvage])

٣) جاء في لسان العرب: الأقحوان من نبات الربيع مُفرَّض الورق دقيق العيدان لهُ نَوْر ابيض قال الازهريّ: هو القُرّاص عند العرب. وهو البابونج عند الفُرس (Lc., Matricaria partheqium [Matricaire])

٤) وصفها في اللسان بقولهِ: انّها ضربٌ من نبات السهل فيهِ خشنة ينبت منسطحًا على وجه الارض ولا افنانَ لهُ يلزم ورقُهُ الارضَ ولا يمدّ حبالًا غير انّهُ يرتفع لهُ في وسطهِ قصبة طويلة في رأسها حبّتُها. قال الازهريّ: الحَرْشاء خردل البرّ (Lc., Moutarde sauvage)

٥) النَّهق والنَّهَق نبات شبه الجِرجير من احرار البقول وقيل انّهُ الجرجير بعينهِ او الجرجير البرّي في مذاقهِ حَمْزة يلذع اللسان (Lc., Roquette sauvage)

٦) قال ابو حنيفة: هي عُشبة سُهْلية تنبت على ساقٍ ولها افنان قليلة ليّنة وورق كورق الريحان اللطاف خضر ووردة ناضرة لا يرعاها شيء ولكنّها حسنة المنظر. وفي اللسان: هي عشبة سوداء اللون ذات ورق وقضب ولها بطون خُضر وعِرق احمر (B., Anchusa hispida Forsk. cfr. E. 270 ; Lc., Bourrache)

٧) صحّف الاصل باليعصيد. قال ابن سيده: اليعضيد بقلةٌ زهرها اشدّ صفرةً من الوَرْس وقيل انّها من الشجر وقيل بقلةٌ من بقول الربيع فيها مرارة (Lc., Chondrille, Chondrilla juncea, Chond. ramosissima)

وَٱلسَّخْبَرُ[1] لَهَا نَوْرٌ أَحْمَرُ، وَٱلْخِمْخِمُ[2]، وَٱلسَّكَبُ[3] وَٱلنَّرَّاءُ[4] وَلَهَا ثَمَرَةٌ بَيْضَاءُ، وَٱلْمُرَارُ[5]، وَٱلْهَرَاسُ[6]، وَٱلذُّنَّبَانُ[7]، وَٱلْقُطْبُ[8]، وَهُوَ مُرٌّ خَبِيثٌ أَشَدُّ مِنَ ٱلْحَسَكِ، وَٱلذَّفِرَةُ[9]، وَٱلْكَرِشُ[10]، وَٱلْخُبَّازَى[11]، وَٱلْيَشْرِقُ[12]،

---

١) وفي الاصل السَّتاري وهو غلط . ورد وصفهُ في اللسان قال هو نبتة ذات زُهيرةٍ ورقها لطيف اغبر وهي تُحمد على المرعى . وعن ابي حنيفة : انَّها نبت في الرمل ولها ريحٌ ذَفِرة . وقيل ان لها نورًا فيهِ حمرة ليست بناصعة وحبُّها يُقال لهُ الخِمْخِم (cfr. E. 269)

٢) في الاصل الخَمْجة وهو تصحيف . والخِمْخِم على ما قيل نبتٌ مُشوِك شوكهُ دقيق لصاقٍ بكلّ ما يتعلّق بهِ

٣) قال صاحب اللسان : وهو شجر طيّب الريح كأنَّ ريحهُ ريحُ الخَلوق ينبت مستقلاً على عِرقٍ واحد لهُ زَغَب وورق مثل ورق الصَّعْتر الَّا انَّهُ اشدُّ خضرةً ينبت في القيعان والأودية ويبيسهُ لا ينفع احدًا ولهُ جنًى يؤكل ويصنعهُ اهل الحجاز نبيذًا . وقال ابو حنيفة انَّهُ عُشب يرتفع قدر ذراعٍ ولهُ ورقٌ اغبر شبيه بورق الهندباء ولهُ نورٌ شديد البياض

٤) النرَّاء من نبت السهول يحبُّ المالُ اكلهُ ولهُ ورقٌ تافهٌ يشبه عودهُ عود القصب ولهُ زهرة شديدة البياض طيبة الرائحة

٥) واحدها والمرارة بقلة مرَّة قيل انهُ الحُمْض تقلص عن اكلهِ مشافر الابل . ومنهُ لُقب بنو آكل المُرار

٦) الهَرَاس شجر وقيل نبت كثير الشوك يُعَدُّ من احرار البقول

٧) الذُّنَّبان هو النبت الذي يدعوهُ العامة ذنب الثعلب

٨) قال في اللسان : القُطب والقُطبة ضربان من النبات وقيل هي عُشْبَة لها ثمرة وحبٌّ مثل حَبّ الهَرَاس . قال اللحياني : هو ضربٌ من الشوك يتشعَّب منهُ ثلاث شوكات كأنَّها حسك . وقال ابو حنيفة : القُطب يذهب حبالًا على الارض طولًا ولهُ زهرة صفراء وشوكة مدحرجة كأنَّها حصاة

٩) قيل انَّها نبتةٌ تنبت وسط العُشب لها ثمرة صفراء تشاكل الجعدة في ريحها (P., Cleome arabica L ; B., Iphionia juniperifolia ; Lc., Rue sauvage)

١٠) قال ابن سيده : الكَرِش والكَرِشة من عُشب الربيع وهي نبتةٌ لاصقة بالارض بُطَيحاء الورق معرَّضة غبراء ولا تكاد تنبت الَّا في السهلِ وتنبت في الديار وقال ابو حنيفة : انَّها شجرة تنبت في أرومٍ وترتفع نحو ذراع ولها ورقة مدوَّرة حرشاء شديدة الخضرة

١١) الخُبَّاز والخُبَّازى نبتةٌ معروفة (P., L. Malva L ; Lc., Mauve Μαλάχη)

١٢) اليَشْرِق شجر وقيل نبت ينفرش على الارض وهو عريض الورق لا شوك لهُ . وجاء

وَٱلْحُمَّاضُ[١] ، وَٱلْكُرَّاثُ[٢] ، وَٱلْعُنْصُلُ[٣] ، وَٱلْجَعْدَةُ[٤] ، وَٱلْحَزَا[٥] ، وَٱلْأَيْهُقَانُ[٦] وَهُوَ ٱلْجِرْجِيرُ ، وَٱلْكَتَاةُ[٧] ، وَبَقْلَةُ ٱلصَّابِ[٨] ،

عن بعض اعراب ربيعة انّ المشرقة ترتفع على ساقٍ قصيرة ثم تنتشر شبأً كثيرة وتنشر ثمرًا كثيرًا ثمرها ينفتُ فيهِ سطران من الحبّ وحبّها يؤكل رطبًا ويُطبَخ يابسًا (L., Origanum Maru ; Lc., Circée de Dioscorides)

١) الحُمَّاض نبتٌ جبليّ ذو ورقٍ عظام ضُخم وهو شديد الحَمْض يأكلهُ الناس. لهُ زهرة حمراء تبيضُّ اذا دنا يبسهُ وثمرهُ مثل حبّ الرمّان يأكلهُ الناس قليلًا (P., Oxalis L ; Lc., Patience, Oseille)

٢) الكَرَّاث بفتح اوّلهِ وضمّهِ ضربٌ من النبات مستدّ اهدب اذا تُرك خرج من وسطهِ طاقةٌ نطارت. وتطول قصبةُ الوسطى حتّى تكون الطول من الرجل وقيل انّهُ لها جُطرةٌ ناعمة ليّنة اذا قُدِعت سال منها لبنٌ. امّا الكَرَّاث بفتح الكاف والراء المخفّفة فبقلةٌ أخرى (L., Allium porrum L ; Lc., Πράσον, Porreau ; *cfr. E.* 269)

٣) العُنْصُل البَصَل البرّي وقيل الكرّاث البري يُعمل منهُ خلٌّ شديد الحموضة يقال لهُ الخلّ العَنصلانيّ. قال الازهري: اصلهُ شبه البصل وورقهُ كورق الكرّاث واعرض منه ونَورهُ اصفر (L., Scilla maritima L ; Lc., Scille)

٤) الجَعْدة حشيشة برية فيها تجمُّد تنبت في القيمان وفي شعاب الجبال بنجد قيل انّ لها رعثةً كرعثة الديك. قال النضر بن شميل: هي شجرة طيبة الريح خضراء ولها قُضب في اطرافها ثمر ابيض تحشى بها الوسائد لطيب ريحها ويصلح عليها المال ; (B., Teucrium Sinaicum Boiss. ; L., Polium montanum ; L., Lc., Teucrium polium)

٥) الحَزَاء والحَزَا نبتٌ يشبه الكَرَفس لريحهِ خَمطة وهو من احرار البقول. والعرب يتعوَّذون بهِ فيعلّقونهُ على صبيانهم. ومن الحزاء نوعٌ آخر وهو شجرة ترتفع على ساقٍ مقدار ذراعين او اقلّ ولها ورقة طويلة مُدمَّجة دقيقة الاطراف وهي شديدة الخُضرة وتزداد على المحل خضرة لا يرعاها المال (Lc., Anethum segetum)

٦) وفي الصحاح انّ الايهقان الجرجير البرّي. وقيل هو نبت يُشبه الجرجير وليس بهِ قال ابو حنيفة: هي عشبة تطول في السماء طولًا شديدًا ولها وردة حمراء وورقة عريضة والناس يأكلونهُ (L., Eruca ; Lc. Roquette)

٧) ورد في الاصل كتنة وهو غلط الكَتَاة: والكتا شجرٌ يشبه النبيراء الّا انهُ لا ريح لهُ وثمرتهُ مثل صنار ثمر النبيراء قبل ان يحمرّ. امّا الكَتاءة: ممدودة مؤنّثة فهي جرجير البرّ

٨) الصاب (وصحّف في الاصل بالصبّ) شجر شديد مرٌّ يضرب بمرارتهِ المثل. وقيل الصاب هو عصارة هذا الشجر تُشبهُ اللبن وربّما ترت منهُ ترية

وَٱلْكَلِبَةُ[1]، وَفَمُ ٱلْغَزَالِ[2] وَٱلْبِهِنَةُ[3]، وَٱلتَّرْعَةُ[4] شَجَرَةٌ، وَٱلْعُشَرُ[5]، وَٱلتَّنُّومُ[6] وَهُوَ شَهْدَانِجُ ٱلْبَرِّ[7]، وَٱلْإِذْخِرُ[8]، وَٱلسَّلَعُ[9] وَهِيَ بَقْلَةٌ خَبِيثَةُ ٱلطَّعْمِ،

(ستأتي البقية)

---

١) الكَلْبَة والكَلِبَة ايضاً شجرة شاكّة من العضاه وهي من صغار شجر الشوك لها جراءٌ وكلُّ ذلك تشبيه بالكلب ولعلَّهُ هو المعروف بكفّ الكلب (Lc., Spartium junceum)

٢) ويروى دم الغزال. قال في لسان العرب: هو نبات شبيه بنبات البقلة التي تسمّى الطرخون يؤكل ولهُ حروفة وهو اخضر ولهُ عرق احمر مثل عرق الارطاة

٣) قال الازهريّ: ورأيت في البادية شجرة لها وردة حمراء يسمّونها البِهِنَّة. وهي من ذكور البقل

٤) قال اللسان: الترعة شجرة صغيرة تنبت مع البقل وتَيبَس معهُ وهي احبُّ الشجر الى المعير

٥) قيل انَّ العُشَر من كبار شجر العضاه ذو صمغ حلو وحرَّاق مثل القطن يُقتدَح بهِ وهو عريض الورق يخرج من شُعَبهِ ومواضع زهرهِ سكَّر فيهِ شيء من المرارة يقال لهُ سكَّر العُشَر. ويخرج لهُ نفّاخ كشقاشق الجمال ولهُ نَورٌ كالدِفلى مُشرق حسن النظر ولهُ ثمر (L., Asclepias gigantea Forsk., Calotropis procera; Lc., Asclépiade)

٦) وصف ابن سيده التنوم بقولهِ: هو شجر لهُ حَمْل صغار كمثل حبّ الخِرْوَع يتفلّق عن حبّ يأكلهُ اهل البادية وكلما زالت الشمس تبعها بإعراض الورق اه. وحبُّهُ يُدَقّ ويُعتصر منهُ دهن ازرق. تدّهن بهِ نساء العرب. ولون ورقهِ يضرب الى السواد (L., Cannabis sativa L.)

٧) الشَّهْدَانج هو نبات القنَّب (L., Cannabis; Lc., Chanvre)

٨) الاذخِر قيل انَّهُ نبات طيب الريح لهُ اصل مُندفِن دقيق وهو اطول من الثيل يشبه اسل الكولان الّا انهُ اعرض واصغر كعوبًا ولهُ ثمرة كأنَّها مكاسح القصب تُطحن فتدخل في الطب (B., Andropogon laniger L., Andropogon Schoenanthus; Lc., Schoenanthe Σχοῖνος)

٩) السَّلَع نبات وقيل شجر مرّ وقيل انَّهُ سمّ لهُ ورقة صغيرة شاكّة كأنَّ شوكها زغب وهو بقلة تتفرش كأنَّها راحة الكلب

وافدتا الدفتيريا والحصبة في حمص

للدكتور كامل سليمان الخوري

(تابع لما قبل)

ولما أوشكت ان تتناهى حوادث الدفتيريا (وآخر حادثة شاهدتها هي في ٢٠ من شهر نيسان المنصرم ما عدا حادثتي الذبحة الشاملة الاخيرتين اللتين مرَّ ذكرهما) ظهرت وافدة الحصبة وكانت حوادثها الاولى سليمة العاقبة فكان المرض ينتهي في مدة تختلف من عشرة أيام الى خمسة عشر يوماً دون ان يعقبهُ اختلاطات ولكن من نحو ١٠ أيار ابتدأت الحوادث تظهر رديئة واهمّ الاختلاطات التي أنهكت كاهلَ الاطفال هي الاختلاطات الصدرية التي ظهرت غالباً في هذه الوافدة قرب انتهاء المرض وفتكت بكثير منهم فتكاً ذريعاً. ثمَّ يليها في الاهمية الاختلاطات المعوية وخصوصاً الديسانتيريا (السحيج) التي كثيرًا ما اتعبت الأطفال وعذَّبتهم غير انها كانت لا تطول مدَّة طويلة

وفي بعض الحوادث ايضاً ظهرت تقرُّحات متعدّدة في الفم مصحوبة برائحة كريهة ولولا القليل لأحدثت غنغرينا الفم (Noma) وفي بعضها عقَّب الحصبةَ سعالٌ ديكيٌ كل نوبة منهُ تتهدّد حيوة العليل المسكين بالختق. هذا فضلاً عن كثير من الاختلاطات البسيطة كالتهاب العين والتهاب الاذن الوسطى الخ

ووافدة الحصبة هذه لم تزل شديدة الوطأة الى الآن واعتقاد العامَّة هنا ان لا علاج للمصاب بها. فاغلب الوالدات لما تشخص لهنَّ بانَّ الولد مصابٌ بالحصبة وأنهُ يلزم لهُ علاج يستغربنَ ذلك غاية الاستغراب وهنَّ لا يعوّلن الَّا على سَقْي الولد الدبس المني بصفة أنهُ حامٍ يدفع بالمرض الى الخارج فيخفّف من اعراضهِ. فنعمأ القصد وبئست الواسطة لانهنَّ باعتمادهنَّ على الدبس المني يتركنَ كل رأي طبيب جانباً فيضحي الدبس المني مضرًّا بنتائجهِ وان يكُ لا يخلو من بعض الفائدة بحدّ ذاته

هذا ولا يخفى على ساداتنا القرَّاء بان هذه الملاحظات هي التي شاهدتها انا فقد يمكن ان يكون غيري من رصفائي الأطباء شاهدوا أعراضاً أُخرى وعدم ثبات أهل العليل في المعالجة عند طبيب واحد تجعل تتبُّع الحوادث متعذّرًا جدًّا ولذا فارجو المعذرة لكون

ملاحظاتي هذه هي عمومية اذ ليس القصد مني افادة الأطبا. انما أريد ابداء بعض نصائح للاهل لمعرفة اتخاذ وسائل الوقاية اثناء الوباء. ويغلب على ظني استنادًا على اقوال بعض اهل المرضى بان هاتين الوافدتين اتلفتا الى الآن اكثر من الف ولد. واغلب هذه المصائب ناشئة عن جهل الأهلين وعدم إدراكهم الى ما يشير به عليهم الأسي. وجلّ قصدي من كتابة هذه الاسطر هو تنبيه افكار العامة وخصوصًا الآباء الذين يطالعون جرائدنا الى اتخاذ بعض احتياطات لو اتبعوها (واتباعها ليس بالامر العسير) لاجتنبوا مصائب تكدرُ صفاء عيشهم وتجعلهُ مغموسًا بمرارة العلقم وتذكرهم باولادهم الذين كانوا قبل وفاتهم بمدة يسيرة يجلون عن قلوبهم صدأ اتعاب النهار اذ كانوا يمرحون امامهم رافلين باثواب الصحة النضرة راتعين في بحبوحة الهناء والسرور

وهذه هي احدى فوائد المجلات والجرائد العلمية فيكفي ان يستفيد المرء منها افادة فتعوّض عليهِ اضعاف ما يكلفهُ الاشتراك فيها سنويًا. فمن يشكُّ بانَّ الاب الذي عندهُ كفاءة لان يدرّب امرأتهُ وآل بيتهِ لمعرفة اجتناب عدوى الامراض السارية كالدائين اللذين عليهما مدار كلامنا الآن لا يوفرُ على نفسهِ مقدارًا من النقود اكثر باضعاف مما كلفهُ الاشتراك بجريدة يستقي من معين مائها الصافي تلك الفائدة الكلية الجداء.

سبق لنا القول في صدر مقالتنا هذه بانَّ هذين المرَضين هما ساريان وسرايتهما أضحت مؤكدة في هذه الأيام الاخيرة كالشمس في رابعة النهار. وعلى معرفة السَّريان هذا تتوقف معرفة اجتناب الداء. وها نحن نسردُ بأبسط عبارة قواعد الاحتياطات اللازم اتخاذها اثناء وجود المرض فنقول:

اوّلا: يجب على كل والدة يهمُّها حفظ صحة ولدها الإقلال من الزيارات والعيادات والتهاني والتعازي وبالاجمال الامتناع بقدر الامكان عن دخول البيوت لانها لا تدري عند ما تريد الذهاب لزيارة جاراتها او صديقاتها أتكون جرثومة الداء موجودةً في ذلك البيت الذي ذهبت لزيارة سكانهِ ام لا

ثانيًا: اننا ننصح للآباء والامهات البسطاء بان يُقلعن عن تلك العادة السيئة التي اصل أسبابها هو الشحّ. وما ادراك ما هي تلك العادة هي ان تأخذ الام ولدها الى «الرقّاع او الرقّاعة» لترقع لهُ لأنهُ «موتع». فعندنا في هذه الجهات حالما تتغيرُ صحة الولد يخطر ببال والدتهِ ان ابنها مصاب بمرض في لوزتيهِ فتأخذهُ الى الرقّاع او غالبًا الى الرقّاعة

لانها اطول باعاً بفنّ هذه الاضرار. فطالما تراه هذه بدون ان تسأل والدته عن الاعراض الخاصة له تمدّ يدها الى حلقه لرفع اللوزتين واظافرها كمخالب كواسر الطيور. وقد يمكن ان تكون من قبل بساعة مدّت إصبعها لفم ولد مصاب بالدفتيريا (وهنالك الطامّة الكبرى والبليّة العظمى) فتورث المرض هذا الولد المسكين الذي لا يعرف الحوّ من اللوّ والذي رمته الاقدار بين يدي والدته الجاهلة وتحت انظار هذه الظالمة نرجع الى البيت وقد سرت جراثيم الداء الوبيل اليه فيذهب ضحيةً على مذبح الجهل. ومَنْ علم بان عدداً ليس بالقليل من الأطفال يُقادُ يومياً الى الرقاعة (وعدد الرقاعات والرقاعين يُربي على العشرين في البلد) يستنتج كم وكم من الاطفال تُتلف الواحدة منهنّ اثناء وافدة داء خبيث كالدفتيريا او الحصبة. فمتى عرف ربُّ البيت بأنّ اخذ ولده الى الرقاعة قد ياتي باضرار لا تُعوّض يحتمّ على امرأته وآل بيته بإبطال هذه العادة الذميمة

ثالثاً: نحظّر على الوالدات المرضعات بعدم ارضاع طفل غير طفلهنّ. فانّ هنا كثيراً من السيّدات لمّا تأتي لزيارتهنّ امرأة ومعها ولد فكأنهنّ حفظهنّ الله لا يستنسبنّ بان يُجزى الهنّ الخجل فيأخذنَ الولد من حجر أمه ويُرضِعْنهُ قياماً بواجب الضيافة للضيف الصغير. واما هذا الولد مكافأةً لمعروف المُضيفة تأخذ ولدها وترضعهُ بدورها. فهذه الضيافة مُضرّةٌ من وجهين: فاذا كان ولدها مصاباً بمرض قابل السريان يُخشى على ولد الضيف من اكتساب ذلك الداء الوبيل. وبالعكس فاذا كان ضيفها الصغير مصاباً بالمرض فلما ترضعُ ولدها فيما بعد تنتقل له مرضاً كان في غنًى عنهُ وهذا الامر واضح لايحتاج الى برهان. ولا يظنّنَّ أحدٌ في كلامنا المغالاة فكثيراً ما يبقى الولد في حال صحة ظاهرة لا يُغيّر شيئاً من عوائده وسمّ الداء سارٍ في جسمه الى ان تظهر الاعراض الشديدة فجأةً فتفتكُ فيه في بعض ساعات معدودة وقد اتّفق انّنا شاهدنا حوادث عديدة من هذا القبيل

رابعاً: على الامهات اذا حدث مرض عندهنّ بان يعتنين اشدّ الاعتناء بألّا يلوثن حوائج كثيرة وان يحترسن كلّ الاحتراس من أن يدعنَ البصاق ونُفاية التي تنتثر في الدار على اجزاء اثاث البيت وخصوصاً ما يتعذّر منها تطهيره وتنظيفه كالمِرادّ الصوفية والمخدات الخ. ويجب عليهنّ ان يُخصّصنَ للمصاب بالداء الساري اوعيةً مخصوصة له للأكل والشرب كي لا يُعدي احداً من اخوته الموجودين في ذلك المنزل كما انهُ يجب على الوالدة او الممرضة ان تنظف يديها تمام النظافة بمحاليل مضادّة للعفونة كلّما تلوّثت بنفث

ومفرزات العليل خشية من ان تنتقل لبقية الاولاد او لنسلها الداء الوخيم. وعقيب انتهاء المرض سواء بالشفاء او بالموت يجب عليها ان تغلي الحوائج التي استعملت للمصاب غلياً كافياً اذا كانت ذات قيمة والارفق حرقها وملاشاتها اذا كانت مما يمكن الاستغناء عنهُ ويتحتم عليها غسل ارض الغرفة بمحلول مضاد العفونة للاشياء الجراثيم الباقية وطش جدران المحل اقلهُ بالكلس الرائب فانهُ قريب التناول قليل الكلفة على الاشخاص المعوزين الذين نحن موجهون اليهم بنوع خاص نصائحنا. واما اذا تلوثت بعض حوائج صوفية كالسجادات والبسط التي يتعذر غليها او غسلها بمحلول مضاد للفساد فالاوفق تعريضها مدة من الزمان لنور الشمس اذ انهُ قد ثبت بان لهُ فعلاً مميتاً لجراثيم الوبئة

خامساً: على الامهات ان يتجنبن عن لثم شفاه الاولاد لانهُ يخشى من ذلك من ينقلن جراثيم المرض لاولادهن كما سبق شرح ذلك في مسألة الترضيع

سادساً: على الام ان لم يكن حباً بولدها فايفاء لذمتها حالما ترى انحرافاً ولو مهما كان طفيفاً في صحة ولدها ان تحضر لهُ طبيباً حاذقاً قانونياً او ان تأتي اليه بالمريض لدى اللازم لهُ: فان لم يكن ثمَّ ما يوجب المعالجة تكون أراحت ضميرها من القلق واكتسبت منهُ فوائد أثمن من القيمة التي تدفعها له أجرة عيادته وان كان الولد مصاباً بمرض ما تكون ملافاتهُ من الأول هي امنية الطبيب وغاية مرام الوالدة الحنة. واذا لا سمح الله بعد ذلك لم تحصل نتيجة تكون الام قد عملت ما ينبغي لها وتظهر امام منبر الديان الرهيب مرتاحة الضمير ولسان حالها يقول:

اذا لم يكن في اجل الانسان تأخيرُ حاد الطبيب وخانتهُ العقاقيرُ

ولا يخفى على اللبيب بانَّ الام التي تمرّض بجهرة طفلها ملبية بذلك دواعي الشح تكون كأنها ذبحتهُ بيدها. فيكفيها ندمها وتقريع ضميرها لها فانها لا تجد ولن تجد تعزية بفقدها ولدها وفلذة كبدها وهي التي ساعدت على تلفهِ

ولكن أنّى للام المسكينة وللاب البسيط الاهتداء الى الطريق القويم وهما محاطان بجمهور من العجائز اللاتي كل واحدة منهن قد اتلفت الى هذا الوقت عدداً من الاطفال بمشوراتها السيئة فمن قائلة للوالدين: لا بأس عليكما فمن كم يوم حصل لولدنا نحن هكذا خالما ذهبنا به الى « الرقاعة » لم يبقَ به شيء. ومن صارخة لا لزوم لاستدعاء الطبيب فانَّ الطبيب هو الله وحدهُ. والاخرى تنادي باعلى صوتها: أمس أصيب ابن

بنتي بهذا المرض فلم نسعه ألّا دبّا عنيفاً والحمد لله برئ تمام البرء . وهاتيك الشابة تردد الامّ التعيسة وبساطة تامّة تشير عليها بأخذ ولدها الى الشيخ الفلاني الذي حالما يقرأ له شيئاً على رأسه يتعافى ان شاء الله . وهكذا يغرق الوالدان البائسان في تيّار من النصائح التعيسة فتعب ان يُجرّبا هذه الوصفة وتلك التجربة يكون المرض قد تأصّل في جسم المريض الصغير وانتشر سمّهُ في دمهِ فحينئذٍ يعتمدان على استدعاء الطبيب ولكنّ الوقت قد فات والندم لا يورث إلّا الحسرات

سابعاً: نرجو من كثير من الاطبّاء اتباع شرائط مضادّة العفونة إبّان سريان مرض وافد بان يغسلوا أيديهم كلّما فحصوا مريضاً ولما تكون الحادثة من الدفتيريا يجب عليهم غسل ايديهم بمحلول بكلورور الزيبق وتغطيس آلة كبس اللسان بنفس المحلول او في الماء الغالي مدّة من الزمان حتى اذا ما فحصوا بعد ذلك احد الأطفال ولم يكن مصاباً بالدفتيريا يكون بأمن من انتقال الداء اليه لأنهُ يوافق غالباً وافدة الدفتيريا (كما جرى ذلك أبان هذه الوافدة) نوعٌ من التهاب اللوزتين البسيط او التهابها الحويصلي (الهربيي) الذي كثيرًا ما يلقي الرعب في قلب الأهل ويغرّ الطبيب اذ هو لم يدقّق الفحص

ومن هذا القبيل اذكر حادثة جرت لي اسردها هنا تنبيهاً للاطباء: اتتني امرأة نهار الاحد الظهر الذي وقع فيه عيد الفصح عند الروم تستدعيني بتلهّف لحفيدها . فلمّا لم تجدني في البيت فتّشت عني في عدّة محلّات فلم تستفد شيئاً . اخيرًا فيما هي تفتش عني وجدتني في الطريق فاشارت اليَّ ان اتبعني . ولما كنتُ استفهم منها عمّا تريد مني لم أكن اسمع منها الّا: «ولدي مصاب بالخناق . . مشرف على الهلاك . . أسرع» . تقول ذلك وهي تلهث . فلمّا ذهبتُ الى البيت استفهمت من الامر فقيلَ لي: اننا اخذنا هذا الولد لتربيةٍ لاحد الاطبّاء ، فقال لنا انهُ مصاب بالخناق الغشائي وان لم يُحقن بالمصل لا شكَّ هو هالك . فلمّا فحصتُ حلق الولد لم ارَ اثرًا مطلقاً للدفتيريا . ولمّا سألوني رأيي في ذلك فحوصاً على شرف الطبّ والاطبّاء ، لم اندّد بالطبيب ولا بيّنت سوء تشخيصه بل قلت لهم: اليوم اعطيه علاجاً وغداً نرى اللازم . فلمّا شرب المقيّئ وتقيّأ عدّة مرار انتعش الولد وطلب أكلاً وتركتهُ الحمّى . ولمّا عدتهُ في الغد وجدتهُ يلعب في عرصة الدار معافى سليم الصحّة . ذكرتُ هذه الحادثة كنصيحة للاطبّاء كيلا يسرعوا ويحتموا بوجود شيء ، ان لم يحقّقوا المسألة تماماً لانّ اخبارًا مكدرة كهذه قد تؤثر احياناً شديد التأثير في قلوب الاهل

ثامناً: على كل طبيب يريد القيام تماماً بعبء وظيفته الّا يفتأ عن تقديم النصائح اللازمة أبان وجود مرض سار في بيت ما. فلا يجوز له ان يكتفي بالقول بل يجب التكرار وتخويف الاهل من سوء العقبى اذا لم يبعدوا الأولاد السليمين عن المصاب بالدفتيريا. وعندي انَّ الطبيب المعالج اذا لم يبذل جهدهُ في تنفيذ اوامر الطبيَّة يكون هو المسؤول ذمةً لانَّهُ عارف بشرّ الداء وبشدَّة سرايته اكثر من اهل العليل الذين يدوّخهم الرعب. فمن منّا يا ترى لو رأى امًّا تترك ولدها يقرب محلّ الخطر لا يمسك الولد ويأخذهُ الى محلّ امين ويجود بالنصائح المفيدة لتلك الامّ الجاهلة معنّفاً اياها تعنيفاً مرًّا اذا لزم الامر. فالنصائح والارشادات وقت الامراض السارية قد تأتي بفوائد جليلة تنقذ اولاداً كثيرين من الموت

وبالختام نستميح العذر من حضرة القرَّاء عمَّا يكون اصابهم من الملل لاطالة مقالتنا هذه. الّا أنَّنا لبّينا دواعي الضمير ضنًّا بارواح الاطفال من ان تذهب قرباناً على مذبح الجهل فان اصبنا المرمى فرميَة من غير رام والّا فنرجو المعذرة وغضّ النظر والسلام على من اتبع الهدى

وفي وقت آخر سأنشر ان شاء الله فصلاً في طرائق اماتة وملاشاة جراثيم الامراض بالتفصيل مع ذكر اهمّ العقاقير المستعملة لهذا القصد ومقاديرها وكيفية استعمالها الى غير ذلك ممَّا يتيسّر لي البارئ ذكرهُ خدمة للانسانية وتقليلاً للويلات. والله وليّ امري وهو نعم مسؤول واليه ترجع كل الامور

في الروايات الخياليَّة

للاب ايدي لوديول اليسوعي

(تابع لما سبق)

في خصائص هذه الروايات

سبق الكلام ان مرادنا بالروايات الخياليَّة هي القصص الافكيَّة التي يستنبطها الكَتَبة لتفكيه الخيلة وقد تكلَّمنا عن اصلها وتاريخها وتكلّم الآن على خصائصها فنقول:

ان الروايات الخيالية من شأنها ان تعجب القارئ وتحسن موقعاً لديه فتجتذبه اليها. وهذه حقيقة لسوء الحظ ثابتة وامر عمومي يتناول الجميع وسبب ذلك ان الطبيعة تتوسل الى تخطي الحدود الممنوعة وتميل الى استكشاف الاسرار المغلقة. وقد طالما استخدم البعض هذا الميل الفطري لاجل تحويل الناس الى ما يرومون بهم. فان القدماء من اليونان كانوا يحوطون الهياكل الوثنية بالغابات وكثيراً ما يجعلون فيها بعض غرف سرّية استجلاباً للزوّار فكانوا يُقبلون عليها بكثرة ويزدحمون عندها جموعاً وافرة. وهكذا الروايات الخيالية فانها تكتنفها غابات مشتبكة الاغصان او بالحري اسرار ذات براقع مما شأنه ان يزيد الاذهان ولوعاً بها ويكثر سواد المقبلين عليها

ثم ان هنالك اسباباً أُخرى كثيرة توضح ما اختصت به الروايات الخيالية من استمالة الاذهان اليها ولا يخلو سردها من فائدة:

انَّ الروايات تبهج المخيّلة لأنها من استنباطاتها فهي ثمرتها وغذاؤها ولا ننكر ان الاحاديث الخرافية تبهج دماغ الصغير والتخيُّلات تفتن عقل الشاب والشابّة حتى انَّهُ لا ينجو من تأثيرها لا المكتمل في الرجولية ولا الشيخ لا سيَّما وان الكاتب يصوّر احوالاً خارقة العادة ويأتي باوصاف كاسية بالزينة او ذات غلو ومبالغة حتى يتصوَّر القارئ انهُ في ارض مسحورة لكثرة ما يرى من المشاهد الفتّانة ولا يخفى ان أمراً كهذا يُغوي المخيّلة ويحملها على ان تملّق نفسها بالباطل وتستسلم بارتخاء الى الجاذب الذي يستميلها فتسكر وترقد بلذّة

ومن خصائص الروايات الخيالية انها تسرّ اللبّ وتبهجهُ وذلك انَّهُ من المقرَّر ان هذه الروايات قريبة المنال على كل الافهام ولا يستلزم ادراكها شيئاً من المعارف الرياضية والطبيعية والتاريخية كما لا يستدعي ايضاً شيئاً من سلامة الذوق واستقامة الضمير. وعلى ذلك فهي دانية المرام لكل احد ويمكنها ان تلج كل المنازل على اختلاف انواعها فترقى الى قصور الملوك والكبراء كما تنزل الى اكواخ الزرّاعين والعملة. وقصارى القول ان مطالعتها لا تفتقر الى غير أعين ومعرفة بكيفية القراءة وتوديع الفضيلة. وليس في شيء من هذا كله ادنى صعوبة

ثم انَّ كل احد يعلم ان الفضول صفة خاصّة بالطبع الانساني فقد خلقنا لطلب الحقيقة ولم تكن نفسنا لتشبع من المعارف. ولهذا ترى المجهولات والاسرار تجتذبنا وراءها لاجل استكشاف ما تتضمنهُ من حقيقة جديدة. وعلى ذلك فليس من شيء يحرك الفضول

مثل الروايات الخيالية حتى انها ولوكانت سخيفة ركيكة الانشاء تحملنا على مواصلة مطالعتها لمعرفة نهاية حوادثها. نعم ان الروايات ليست بامور تشخيصية فليس هناك لا ممثلون ولا ملابس ولا مراسح الّا أنّنا نشاهد فيها كيفية نصب الحيل والمكايد وعُقدة الحوادث وتفاصيلها ثمّ انحلال العقدة في خاتمة المقال فهي اذًا فكاهة سحرية وقلّما طالع قارئ بعض سطورها حتى يشتبك بها ويعلق بين دواليها فيجرّهُ في تيّارها

على أن أخصّ الدواعي الباعثة على مطالعة الروايات هو ما تتضمنهُ من اسباب اللذة التي تعرضها على القلب عرضها على أضعف محلّ واشدّهِ تأثرًا وأسهلهِ جرحًا. وليس من الضروري ان تتوغل الرواية في أعماق القلب حتى تجد فيهِ استعدادًا للذة الحسّ التي تتنبّه لاقلّ جرس ولا تكاد تخمد حتى تشتعل كنار تحت الرماد تلتهب بادنى نسيم. فبكثيل قلبنا اذًا نجدنا مستعدين كلّ الاستعداد لا لتبرير الرذيلة فقط بل لمحبتها ايضًا. ولو ان الكذب الخارجي لا يلاقي فينا ميلًا اليهِ لمَا كان يؤثر بنا ويهيّج فينا لذةً رديئة بل اقبح لذة معروفة يبرق لها جبين الادب خجلًا. ولذلك نرى النفس الطاهرة تنفر من مثل هذه التآليف نفورًا طبيعيًا بينا ان القلب الفاسد ينغمس فيها ولا التماس العُتاب في الجيفة. فجحة وكراهية الروايات الخيالية اذًا هما اصدق وسيلتين تحكم على متزلة الشاب او الشابّة

وفي هذا المقام نستأذن القارئ اللبيب فنزيد على هذه الاسباب العمومية اسبابًا اخرى هي أخصّ ببلاد الشرق فنقول:

ان الشرق هو بلاد الشمس والنور واهاليه ميّالون الى اللهو وانبساط النفس اكثر من ميلهم الى الاشغال المتعبة. ولا خفاء ان هذه الاحوال تبعث على التعلّق بالتصاوير التي يخترعها اصحاب الروايات وتسهّل الفُرَص لاجل مطالعتها. فان من يتمدّد متمتعًا على المقاعد الوثيرة يتلذّذ طويلًا بما يقرأ من الاوصاف الخالبة للبّ والمنبّهة لشهوات الحسّ. وهكذا يرى الزمان يذهب بلذّة وتمرّ الساعات سراعًا بين الاوهام والتمثيلات البهجة وما بين المشارب المرطبة التي تقطع القراءة وأبخرة الدخان المخدّرة التي من شأنها الاسفاف على الانقياد وراء الأوهام ومطالب الحية

ثم ان بلادنا يسهل فيها جدًّا اقتناء الروايات الخيالية لان الكتب الجليلة القدر يندر وجودها فيها كما انها غالية الاثمان. امّا كتب الروايات فانّها كثيرة متوفرة واثمانها رخيصة جدًّا يسهل على الاغنياء والفقراء اقتناؤها دون صعوبة. ولا يخفى ان التآليف التي قلّت

رغبة الاوربيين فيها ترسل الى هذه البلاد باسمار دون الطفيفة واذا اقتناها مقتنٍ فاعجبتهُ يهديها الى صديقهِ وهذا الى معارفهِ وهكذا تنتقل من يد قارئ الى آخر دون ان تُبذل في سبيلها بارة واحدة

ومن جملة بواعث الميل الى الروايات الخيالية ايضاً هو أنهُ يوجد منها ما يوافق كلّ الاذواق ويلائم جميع المشارب بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة وحمراء الغلاف وخضراء وزرقاء وصفراء ووردية وغير ذلك من الالوان التي تستدعي التفات العين. هذا فضلاً عن ان عناوينها قد تُوسم بحروف جميلة على هيئات بديعة وكثيرًا ما تغلف بغلف تروق المنظر ايضاً مما يكون بداءة الافتتان بها

ثمرة الروايات الخيالية

لقد ظهر مما سلف ان الروايات الخيالية هي ثمرة الفساد وعلّته فانها تصدر عن معين متسمم وتوصل أذى السمّ الى شاربها والمتعلق بها. وان قيل هل كل هذه الروايات الخيالية رديئة وهل يجب الحكم بردائتها جميعاً دون استثناء. اجبنا على ذلك انهُ من الخطإ القول بكون الرواية الخيالية من طبيعتها إفساد الآداب وتسميمها لانهُ يوجد منها ما لا يتوجّه اليه انتقاد ولا يُزنّ بنقص بل ان منها ايضاً ما هو مفيد غاية الإفادة ويأتي بثمار حسنة. كالروايات التي من تأليف ديفوال ولاموت وكرواية وقائع روبنصن كروزي(١ التي كثيرًا ما يكرّر طلبة العلم قراءتها وهم واجدون في كل مرة لذة جديدة ومنفعة قشيبة ومن يا ترى يتجرأ على التنديد برواية فابيولا التي اتفق الجميع على انها حائزة بين الروايات مقاماً رفيعاً ومنزلة سامية. واي كتاب اوفر انطباقاً على قواعد الادب والطف عبارة من تلماك. وكم يوجد ايضاً من الروايات الخيالية التي تكثّر سواد المقبلين على المجلات والصحف المستقيمة المبادئ فتصاغ في الاخير كتباً تهدى في رأس السنة او تعطى جوائز للطلبة (٢

١) الا ان مترجم هذا الكتاب الى العربية قد زاد على الاصل قطعتين يطعن فيهما بالكنيسة ويطنب في المذهب البروتستاني

٢) وهذا ما حملنا على اتخاذ بعض صفحات في اعداد المشرق لنشر روايات ادبية تفكهاً للقراء وملافاةً لاضرار الروايات الفاسدة جرياً على مثال مجلات معتبرة كمجلة التمدّن الكاثوليكي واقتداء ببعض مشاهير رجال الدين كالاسقف فنيلون والكردينال وَيمان وغيرهما

لكن اذا كان بين الروايات الخيالية هذا العدد اليسير الذي يُؤمَن على قارئه من الخطر فان العدد الاكبر لسوء الحظ خَطِر جدًّا كما سنبيّن ذلك بالادلّة الآتية فنقول :

ان الروايات الخيالية تبلبل المخيّلة وتفسدها . وبيانهُ ان المخيلة هي قوَّة تسري على هواها فتحتاج الى من ينير طريقها ويقوّم خطأها . امَّا نورها فهو الذهن الذي يدلّها على قواعد الذوق والادب والخير . وامَّا قائدها فهو الارادة التي يجب عليها ان تكبح جماح هذه القوَّة الشاردة مخضعةً اياها لما عرضهُ العقل من القواعد وتخرج اوامر العقل الى حيّز الفعل

الَّا ان الرواية الخيالية لا تعبأ بهذه الضوابط ولا تكترث لما يشير اليه العقل الصائب والذوق السليم كما أنها تمجّ وصايا الادب وحسن النظام . فاين يا ترى تلك صفات الانشاء التي يرتاح اليها الذهن في مطالعة اكتب والادبية ؟ اين الطبيعيّة والسذاجة ؟ اين المعاني اللينة الفطرية ؟ فانّك بالاحرى لا تجد الَّا حوادث وتوهّماتٍ مستحيلة تنتجت عن مخيلة الكاتب بلا تروٍ ولا نظام . وربّما رأيت اجزاء الرواية لا تلتحم بعضها ولا نسبة بين مقام الاشخاص ولا مراعاة لمقتضى الاحوال الى غير ذلك من المقابح التي تشوّه فنّ الكتابة

وان كانت هذه نتيجة اكثر الروايات الخيالية في العقل فما قولك في الارادة فانَّ هذه القوَّة تضعف وتفشل اذا تغوّت عليها المخيّلة فتصير المخيلة اشبه بمبدءٍ تستولي الامرَ على سيّدتها فتجرّعها ألوان الذلّ والهوان . وعلى هذا النمط ترى قارئ هذه الروايات بعد قليل طلق العنان لشهواته ويستسلم لاهواء قلبه وينقاد للذّة البهيميَّة حتّى تعمى بصيرتهُ ويصبح ضحية هذا الداء المقام

ولا يتنصل قرّاء هذه الحكايات المختلقة بقولهم انَّهم بمطالعتها يصرفون فقط بعض اوقاتهم ببهجة وهناء . فنقول انَّهُ لمن المستحيل ان لا يبقى لهذه القراءة اثر سيّئ في نفس قارئها . فكم من التصاوير القبيحة وكم من الاوصاف الخارقة لستر الآداب تنطبع على صفحات القلب فتأثّر صاحبها في كل حين وتثير فيه نار الغرام ولظى الفساد . وربّما رافقته في منامه لا تدع له راحة حتى أنها تضايقهُ في صلاته . وقد ادّت هذه الحالة كثيرًا من الشبّان والشابّات الى خلع كل عذار بل الى شيء من الجنون واختلال في العقل وبلغ الامرُ منهم في بعض الاحيان الى الانتحار

ومن اثمار هذه الروايات الخلاعية أنها تزرع في العقل مبادئ قلّة الدّين والكفر .

وذلك لأنّ اصحاب هذه الروايات يغلب عليهم روح الزندقة والالحاد فيضمّنون رواياتهم تعاليم سيئة يمزجونها باخبارهم الفكاهية كالسمّ في الدسم فيتشرّبها عقل القارئ من حيث لا يدري. واذا افترضنا ان مؤلّف هذه الاقاصيص لا يريد التعرّض للدين فكم تراه على جهل وقلّة ادراك يحكم في عدّة امور فلسفية وادبية وسياسية ويعضدها بحجج اوهن من نسيج العنكبوت ألّا انّ القارئ لا يسلم من شرّها بعد ان اصطادت قلبهُ تفاصيل الرواية. ومن ثمّ لا تكاد ترى بين من شُغف بطالعة هذه الروايات رجلاً ديّنًا متمسّكًا لواجبات دينه لما استقاهُ في هذه الموارد العكرة من المبادئ الوخيمة

ولعمر الحقّ انّي يمكن للشاب الصالح والفتاة الورعة ان يتردّدا مع عدّة اشخاص وهميّة يغلب على اخلاقهم البغض والحسد والقسوة والتغطرس وطلب الانتقام والوقاحة واصناف الخلاعة دون ان يكتسبا شيئًا من هذه الطباع الفاسدة ويتخلقا بهذه الاخلاق وقد قيل ان كلّ اناء ينضحُ بما فيهِ. وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فانّ القرين بالمقارن يقتدي

فعلى هذا المنوال ترى بزمن قريب من كان مولعًا بهذه القراءات يفتقد كلّ شعائر الدين بل يتجرَّد من كلّ الصفات المدنية وحبّ الوطن والعائلة الى ان يتعرّى من عواطف الانسانية ويتدهور في كلّ الفظائع

فما قولنا الآن عن تلك العيال المسيحية التي لا تبالي بادخال هذه الكتب الخيالية الدنسة في صدر بيوتها وتعرضها على ابصار اولادها دون احتراس ولا تروّ أفليس الاب والامّ هما المسؤولان عن فساد قلب بنيهما وهلاكهم اذا وقعت هذه الكتب بين ايديهم وشربوا سمها الزعاف. أَوَلا يحقّ ان نردّد قول الربّ انهُ اولى لهما ان يعلّق في عنقهما حجر رَحى ويلقيا في البحر لانهما خاطرا بانفس اولادهما ولم يبعدا عنهم اسباب الخطإ والهلاك. صانهم الله عن هذا الخطر القطيع

وبالختام نطلب من ارباب المدارس ومن الوالدين المسيحيين ان يتلافوا هذا الشرّ العظيم بان يطبعوا في قلوب الاحداث بغض هذه الروايات الخلاعية وينكبّوا بهم عنها طاقتهم ويحبّبوا اليهم مطالعة الكتب الادبية الصالحة وتآليف العلوم الراهنة والاسفار والتواريخ الصادقة التي تنشّط الهمم وتبعث القرائح الى معالي الامور وشريف الاعمال وتمكّن الشبّان في الفضائل والصلاح ليُضحوا زينًا لاوطانهم ومثلًا لاقرانهم

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

خبر اعتقال الملك الظاهر بيبرس لامراء بني الغرب

(قلتُ) ويجب ان نذكر توطئةً يُستدلّ بها على كيفيّة سجن الثلثة المذكورين. وذلك انّ الملك الظاهر كانت تعلّقت آمالهُ بفتوح السواحل وصار يتوقّع لسماع اخبار الفرنج والاطلاع على احوالهم وكشف طبقاتهم

(قلتُ) وفي ايّام سلطنتهِ كُتب منشور جمال الدّين حجي المؤرّخ ثامن رجب سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١) بحُكم ملازمتهِ للخدمة الشريفة مع بدر الدين بن رحّال (١ وقد تقدّم ذكر هذا المنشور(٢ . (قلتُ) وربّما كان بدر الدين هذا جعلوهُ في قُبالة فرنج صيداء وبيروت مثاغرًا لهم .

ثمّ نذكر المكاتبتين اللتين ارسلهما جمال الدين آقوش النجيبي نائب الشام الى زين الدين المذكور والى جمال الدين حجي ولم يُذكَر لهما تاريخ سوى ايّام الشهر الذي كُتبتا فيهِ ولم تُذكر السنة. وكذا كانت المراسيم في ذلك الوقت فيُقال: « كُتب في كذا وكذا من الشهر الفلانيّ المبارك » . ولم تُذكَر السنة وانّما كانوا يذكرون السنين في المناشير والتواقيع

ومضمون احدى المكاتبتين: « وصلت مكاتبة الاميرين الاعزّين الاخصّين جمال الدين وزين الدين عادَي الملوك (٣٥) والسلاطين ادام الله تأييدهما وعلمنا ما ذكراهُ وشكرنا همّتهما. وامّا مثاغرتهما وقيامُهما بما ينبغي من الخدمة فنحن نعلم ذلك منهما ونحرّضهما على القيام بما هما بصددهِ ومطالعتنا على اخبار العدوّ المخذول في كلّ وقتٍ بحسبهِ. وامّا الامير حُسام الدين نوار (٣ فقد كتبنا اليهِ بأنّهُ متى وقع صوتٌ يُسرع مع جماعتهِ الى جهتكما

١) لم نطّلع على شيء من اخباره ٢) راجع ص ٥١٦

٣) يظهر من قرينة الكلام انّهُ كان احد عمّال ملوك الاتراك المصريين في ساحل الشام

فتتّفق كلمتُهُ وكلمتكما. والكتاب عطفها (١ فتوصلانهِ اليهِ. واماً قضيّة صاحب بيروت وتزوّج ابنته بملك قبرس (٢ فقد علمناهُ ولنا علم ايضاً في حديث الهُدْنة ومخالفتها. ونعم ما فعلاهُ باطلاعنا على هذا فلا يقطعا اخبارهما موّيدَين (اه)

ومضمون الكتابة الاخرى: « وردت مكاتبة الاميرين الاجلّين الاعزّين الأخصّين المحترمين المجاهدين الغازيين جمال الدين وزين الدين بهاءي الاسلام مجدّي الامراء عدّتي الملوك والسلاطين أنجح الله قدرهما وأسعد جدّهما وكبت ضدّهما ووُفق عليها وعُلم مضونها وعُرف ما هما عليهِ من الاجتهاد والناصحة وهو المعهود منهما والمشهور عنهما. فليُطيِّب الاميران أيّدهما الله قلبيهما وليشرحا صدريهما فهما على ما يشتهيان ويؤثران وما بلغنا عنهما الّا الخير ولا قيل عنهما الّا الجميل. وليس ثمّ ما يضيق بهِ صدرهما ولم نسمع في حقّهما الّا كلاماً طيّباً فليستمرّا على ما هما عليهِ من الناصحة والاجتهاد والمطالعة بالاخبار ومساعدة العسكر المنصور والنزاة (٣ بتلك الجهة. وليجريا على ما عُهد منهما من المناصحة ومن سلفهما في الأيام السالفة عند الدُّوَل المتقدّمة فانهما يجنيان ثمرة ذلك والله يؤيّدهما بالتوفيق »

وفيهِ ملحق: « قد بلغنا ان جوعكما قد تفرّقت وانتما تعلمان انّ في هذا الوقت تظهر مناصحة الدين والدولة القاهرة. فليتقدّم الاميران أيدهما الله يردّ الرجال الى جهة صيداء وليجتهدا في المساعدة على حفظ هذا الثغر موّيدَين ان شاء الله تعالى »

ورأيتُ مرسوم الملك الظاهر بيبرس الى زين الدين المذكور وجمال الدين حجي يدلّ على انهُ ارسلهُ اليهما من مصر مضونهُ: « هذه المكاتبة الى الاميرين المختارَين المحترمَين الاخصّين المجاهدين جمال الدين وزين الدين فخرَي القبائل والمشاثر مجدَي الامراء اختيارَي الدولة عمدَي الملوك والسلاطين ادام الله رفعتهما وجدَّد مسرَّتهما. تتضمَّن سلامنا عليهما واهداء تحيّتنا اليهما ونعلمهما بأنّا وقفنا على مكاتبتهما الواصلة الى نوَّابنا بدمشق يذكران فيها استمرارهما على الخدمة والنصح لدولتنا القاهرة. ووصل الينا كتاب نوَّابنا بدمشق المحروسة يذكرون ما عليهِ الاميران من الخدمة والاجتهاد في المناصحة وفرحنا بذلك ووقع عندنا اهتمام الاميرين في الخدمة احسن موقع فليستمرّا على ذلك وليهنّأ بهِ وليطيّبا قلبهما

١) يريد انهُ أودع في ضمن هذه المكاتبة رسالةً ليبلّغاها الى حسام الدين المذكور
٢) راجع ص٥١٧
٣) كذا في الاصل

وليشرحا صدرهما فسوف يجنيان واخاهما ثمرة (31ᵛ) خدمتهما ومحبتهما وليطالعانا بالاخبار والتحذرات والله يوفقهما (انتهى)

(قلتُ) وهذا مما يدلّ على انّ الملك الظاهر كان قد صرف ذهنهُ الى جهة الفرنج وأنهُ كان محاربًا لهم وانّ خاطرهُ كان قد مال الى جهتي زين الدين وجمال الدين المذكورين ليتجسّسا لهُ اخبار الفرنج ويطالعاهُ بها وان يكونا مثاغرين على صيداء ويعودت مع من كان من جهة السلطان. ولهذا وقع عندهُ الكذب في حقهما بموقع اوجب سجنهما

وذلك انهُ اشتهرت على ما اخبرَنا السلف مُعاداة بني ابي الجيش لبني الغرب بالبغضة والحسد فتوجه احدهم بكتابٍ مزوَّر عن زين الدين وجمال الدين واخيهِ سعد الدين الى الإبرِنْش (1 صاحب طرابلس مضمونهُ ما يوافق غرض الإبرنش ويُغضب الملك الظاهر. فكتب الإبرنش جواب الكتاب بما يوجب وقوع الدرك على المذكورين عند وقوف السلطان عليهِ. فتحيَّل ابن ابي الجيش المذكور حتى بلَّغ الجواب المذكور الى الملك الظاهر يقصد بهِ اذيَّة امراء بني الغرب ليشتفي خاطرهُ منهم

فعند ذلك طلب السلطان الثلاثة وهم زين الدين وجمال الدين حجي واخوهُ سعد الدين خضر وسجنهم مدةً طويلة لم اعلم كم هي. فمن قلَّل يقول سبع سنين ومن اكثر يقول تسع سنين. وكانوا قد فرّقوا بينهم فجعلوا زين الدين بن عليّ في سجن مصر وجمال الدين حجي في الكرك واخاهُ سعد الدين خضر بقلعة عجلون

ووقفتُ على كتاب مُرسَل من عجلون يدلُّ على انَّ سعد الدين المذكور كان مسجونًا (32ʳ) بعجلون ثمَّ احضروا جمال الدين من الكرك وسعد الدين من عجلون وجمعوا الثلاثة في سجن مصر. ويحكي انهُ لمَّا قصدوا نقل سعد الدين من عجلون الى مصر استبشر بذلك فقالوا لهُ: انت ذاهب الى انحس من عجلون فلأيّ شيءٍ تفرح. قال: افرح باجتماعي باعزّ الناس عليَّ واحبهم اليَّ اخي وابن اخي (ستاتي البقية)

---

1) الابرنش معرّبة عن اللفظة الافرنسية (prince) بمعنى الامير. وكان البرنس المتولي في ذلك الزمان على طرابلس يدعى بوهيمند السادس وكان اميرًا على انطاكية وطرابلس معًا. وفي ايامهِ فتح الملك الظاهر بيبرس مدينة انطاكية سنة ١٢٦٧ م فبقيت لهُ طرابلس وحدها. وتوفي بوهيمند سنة ١٢٧٥ وفتحت طرابلس بعد ذلك بمدةٍ سنة (١٢٨٨م) فتحها الملك المنصور قلاوون

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعي

فاقلعت السفينة في مساء ذلك النهار وتمَّ السفر على غاية ما يرام من موافقة الرياح وهدوّ البحر ووصلت اسرة القنصل ب. الى فيِنَّة في اواخر تشرين الثاني

١٢

وكان بقرب العاصمة في ضاحية هِيتْسِنْغ (Hietsing) على مقربة من حديقة الصيد الامبراطورية ومن الطريق المؤدية الى مزار «ماريا برون» الشهير جادة قصر على جانبيها صفَّان من شجر البلُّوط القديم وفي آخرها بقعة من الخضرة يظهر وراءها قصر جميل ابيض اللون يتراءى رسمهُ منعكسًا في بحيرة يتراوح ماؤها بفعل نفحات النسيم. وكان حول البحيرة اشجار كبيرة هائلة تمتدُّ تحتها ووراءها من كل الجهات حقول واسعة قائمة فيها بيوت صغيرة حمراء ومنازل للاصطياف معتدلة الحال منتصبة في وسط الخضرة. وكانت شمس تشرين الثاني مكفهرَّة ترسل اشعَّتها الذهبية بين اغصان الاشجار التي كان باقيًا عليها شيءٌ من الاوراق المصفرَّة جعدتها الريح الشمالية

في هذا القصر الذي كان في سابق العهد متزلًا لاجداده ترل شرل دي لينس وهو في حالة يُرثى لها فكنت تراهُ طُلبَ نهاره راقدًا على مقعد في غرفته وهو ممتقع اللون واهن القوَّة تغيَّرت بهجتهُ وتنكَّرت بشاشتهُ وخمد نورهُ وذهب بهاؤهُ حتى اصبح لا يعرفهُ مَن كان قد اعتاد النظر الى ما كان عليه من الزهرة اللامعة والنضارة الرائقة

وبينما كان نُطُس الاطباء يبذلون ما في وسع العلم لاصلاح الاختلال الذي طرأ على عقل البارون التمس والدا سوسنَّة مساعدة جمعية من الراهبات الزاهدات اللواتي كان لهنَّ في فيِنَّة شهرة طائرة باعمال الرحمة. وكان من جملة اعمالهنَّ المبرورة ومساعيهنَّ المشكورة الذهاب الى منازل المرضى للقيام عليهم اثناء المرض. فاجابت رئيسة الراهبات هذا الطلب بمحبة ولمَّا لم يكن لديها اذ ذاك لمثل هذه الخدمة الشريفة سوى راهبة واحدة امرتها ان تذهب للقيام على ذلك البارون المنكود الطالع وبذل الاعتناء به

وكانت تلك الراهبة صبيَّة اسمها اغنس قد مرَّت عليها منذ عهد قريب السنة المسمَّاة

بسنة الابتداء في عُرْف الرهبانية . وكانت تلك الراهبة في زهاء العشرين من عمرها بيد ان الناظر اليها كان يخال لهُ انها في نحو الثلاثين على الاقلّ وذلك لما اصابها من الهموم الباطنة والمشاغل المقلية والمتاعب الجسدية فضلاً عمَّا قاستهُ في سبيل دعوتها الرهبانية الجليلة تلك الدعوة التي لا تليق الّا بمن كانت في نفسهِ شهامة الابطال . اجل ان تلك المتاعب والهموم كانت لعبت بصحّة الراهبة المتقدّم ذكرها فذهبت بجمالها وغيّرت منظرها البهيج وازالت من ملامحها تلك النضارة السنية والرونق الطريّ الخاصّ ببعض الأُسرات الحسيبة

ولمَّا مثلت هذه الراهبة لاوَّل مرَّة بحضرة القنصل ب . وزوجتهِ اهتزَّت جوارحها وارتجفت فرائصها واختلجت اعضاؤها وباقلّ من لمح البصر اندفع الدم من قلبها المضطرب فلوّن خدَّيها النحيفين المستقيمين بحمرة وردية . على انَّ الاب والام الوما اليها لم يكونا ليلحظا ما طرأ على تلك الراهبة من الاضطراب والتأثُّر السريعين وذلك لان الحزن كان شديد الوطأة عليهما لا يبيان شيئاً ولا يدركان امرًا

وكانت الراهبة الفتية تقوم بواجبات مُهمَّتها باخلاص لا عائدٌ في التناهي الّا تقواها الحسية التي كانت تستطرق الى النفوس المحيطة بها كالشمس تنفذ اشعتها في الاجسام الشفَّافة . وفضلًا عن ذلك فان حركاتها وسكناتها كانت تشير الى كرامة اصلها وطيب عنصرها . وكانت كأنَّ الديانة قد تجسَّدت فيها بصورة حيَّة بل كأنَّها الرحمة قد تقمَّصت بها ثوبًا قشيبًا . ولذلك فان تلك الراهبة استهوت النفوس بدون ان تشعر بالامر واستلفتت الانظار اليها استلفاتًا

وكانت السيدة تُسَرُّ خاصَّةً بمحادثتها ومكالمتها وتشعر على اثر كل محادثة بابتهاج داخليّ يخامر نفسها بل كثيرًا ما كان صوت تلك الراهبة غير المعروفة منها يخترق اعماق احشائها وتهتزّ منهُ جوارحها دون ان تدرك لذلك سببًا . وحاولت مرارًا عديدة ان تستنطقها عن امر بلادها واهلها ولكنها كلما تأتي بمثل تلك الفاتحات كانت الراهبة اغنس تحوّل المكالمة الى موضوع آخر ولذلك عدمت السيدة ب . الى الاطلاع عن تلك الخاطبة لئلا تحزنها محترمة بذلك رصانتها وتحفُّظها . بيد انها ادركت رغمًا عن ذلك ان والدَي الراهبة ما برحا في قيد الحيوة وانها غير مولودة في بلاد الحبشة . ومما يُذكر انَّ الراهبة كان يبدو على محيَّاها سيماء الارتياح عندما كانت تجتمع بسوسنَّة بل كانت تبذل

جهدها لكي لا تقابلها على انفراد بل ان سوسنة لحظت جملة مرات ان الراهبة كانت تحوّل عنها نظرها لتكفكف دمعة تندفع من عينها فورًا

وفي احد الايام ورد بريد سوريّة وفيه للقنصل ب. مكاتيب ورسائل متعدّدة فأخذ يقرأها وشرع اهل البيت يتحدثون بالاخبار الواردة من بيروت ولبنان. وكانت الراهبة اغنس في تلك الفرصة مهتمّة شديد الاهتمام بتحضير دواء للبارون على انها لمّا سمعت كلمة بيروت التفتت الى القوم بالرغم عنها ولم تتمالك ان ابدت حركة دلّت على اهتمامها ورغبتها في الاستجلاء والاستطلاع لكنّها انتبهت حالًا لامرها ورجعت عن تلك الحركة القارطة منها ذهلًا. بيد ان زوجة القنصل لحظت منها ذلك فقالت لها مستفهمة: «يظهر لي ان حوادث سوريّة تهمُّكِ يا حضرة الاخت»

فاجابت الراهبة بقولها:

«صدقتِ ايتها السيدة الفاضلة اني كنتُ دائمًا اغبط سكّان تلك البلاد الجميلة. أوَ ليست تلك البلاد وطن المخلّص؟ او ليس قد تمّت فيها اسرار ديانتنا المقدّسة المتناهية في تأثيرها بالنفوس؟ اجل انني في صباح هذا اليوم نفسه بينا كنتُ اتلو فرضي القانوني اذ وقفتُ على وصفٍ جميل عن لبنان وعن عظمة الارز القائم على رؤوسه..... وفضلًا عن ذلك ان الهواء في تلك الربوع لطيف مُنعش نقيٌّ صافٍ ليس فيه ما نراه هنا من الكدورة والغيوم المتلبدة والمطر الرذاذ المنهمل عندنا منذ اسبوع....»

ثم انقطعت الى موضوع آخر فقالت ملتفتة الى المريض بعين الشفقة: «لهني على البارون فانّهُ منذ جملة ايّام لم يستطع الذهاب لاستنشاق الهواء النقي». وقد اجتهدت ان تمزج بكلامها هذا السذاجة النطريّة بلهجة الانعطاف الخالص والصداقة المجرّدة. وهي الحيلة التي عُرفت بها طائفة الراهبات حتى انّ زوجة القنصل لم يخطر لها اذ ذاك انّ في الامر سرًّا.

على انها بعد خروج الراهبة من الغرفة اخذت تحادث زوجها بمحامد الراهبة اغنس مكرّرة ذكر سجاياها فوافقها على ذلك القنصل وسوسنة كل الموافقة بحيث ان العائلة كلها تُثنت بجميل تلك القضية اللازمة بالوداعة والاخلاص والحشمة والاعتدال

١٣

ان العلّة التي كان شرل دي لينس مصابًا بها كانت في ابتداء اقامته في فينّة قد تمكّنت منهُ ايّما تمكين حتى غادرتهُ هزيلًا نهيكًا بل اتّصلت به الحال الى درجة لم يكن

ليقبل منها تناول الطعام الَّا من يد الراهبة القائمة بخدمته في مرضهِ . وكانت نوب السوداء تتعاقب عليهِ بكثرة فتثور فيهِ ثائرة الغضب واذ ذاك عند ما كان يعجز الرجال الاقوياء عن إخماد ثورة حنقهِ كانت تُقبل عليهِ تلك الراهبة الفاضلة فتتمكَّن بكلمة واحدة لطيفة من تسكين جأشهِ المضطرب وتخميد نبضهِ النابض . وعليهِ فانها كانت تقضي شطرًا كبيرًا من الليل لدى فراشهِ . بل انها لم تكن لتلتمس لنفسها الراحة الَّا زهاء ساعتين او ثلاث ساعات بل كثيرًا ما تستيقظ اثناء تلك المدَّة على صراخ واستدعاء البارون الذي لم يكن ليرضى بان تفارقهُ دقيقة

ولما كان الهواء نقيًّا والجوّ صافيًا كان يذهب البارون دي لينس المنكود الحظّ الى التنزّه في حديقة « شُنبرون » الجميلة التي كانت مكارم الامبراطور سمحت لاهالي فيَنَّا ان يروّحوا النفس فيها . وكان يذهب الى تلك الحديقة راكبًا عربة تحفّ بهِ كلٌّ من سوسنة والراهبة اللتين كانتا متناظرتين في اخلاص الخدمة لهُ والعناية بهِ كانهما لهُ ملاكان حارسان وكان وجه البارون المتقع الكاسف يوجب الخيفة من ان يصبح داؤهُ عضالًا عقامًا لا دواء لهُ . وكان يتبادر للذهن لدى مشاهدة عناية الصبيَّة سوسنة والراهبة اغنى بهِ ان نفسيهما اكريمتين متَّحدتان بعاطفة واحدة من النزاهة والاخلاص

وقد حدث ان البارون ورفيقاهُ الراهبة وسوسنة ذهبوا مساء يومًا ما في التنزّه المحكي عنها فبقيت السيدة ب . وحدها في البيت فتمكّنت بانفراد عن سوسنة من اطلاق العنان لعاطفة احزانها فجلست في غرفة البارون وشرعت تبكي سرًّا

وهناك مرَّت بخاطرها ذكر حوادث السنتين المنقضيتين فتذكرت وصول البارون مصيبها في لبنان ثم تبادر لذهنها كيف انها شهدت ذلك الانعطاف القوي الذي اجتذب قلب البارون الى نفس ابنتها وردة بقوَّةٍ غالبة وكيف انها هي ذاتها حسبت نفسها سعيدة بتعزيز الانعطاف في فؤاد ذلك الشاب الشريف اللامع كالشهاب . ثم اخذت تهذُّ في تلك الاماني الحلوة العذبة الشهيَّة التي كانت هي وزوجها يعقدان الآمال على تحقيقها في مستقبل الحين . تلك الآمال التي كانا يعلّقان عليها سعادة بنتهما العزيزة باتحادها برباط الزيجة مع اكرم رجل . تلك الآمال التي كانت تريهما انهما لدى بلوغهما في الشيخوخة سيلاقيان شرل دي لينس سندًا قويًّا لضعفهما ودعيمة معزّزة لوهنهما . . . .

ولدى مرور هذه التذكرات ببال زوجة القنصل كانت تبتسم ابتساماً يمرُّ بين دموعها كالسهم اللامع ينشبُ في الظلام الحالك

ولكن على اثر تلك الصور البهجة التي كانت ترسمها المخيلة قامت التذكرات المحزنة السوداء. اجل انها ذكرت حفلة الخطبة الراقصة ثم الحادثة الفاجعة التي جرت اثناء رجوعهم من اثينة وهكذا كانت التصوُّرات الاولى لديها كالحلم الجميل والتذكرات السوداء التي عقبتها كالحقيقة المحزنة تنجلي للنائم لدى استيقاظهِ من الرقاد

وقضت تلك الوالدة المسكينة حيناً في هذه الهواجس وهي تشعر بآلام مبرّحة بانفرادها في تلك الغرفة ثم قامت بعزم وخرّت ساجدة على المصلّى الذي كانت الراهبة اغنس تقضي عليهِ نصف لياليها وقد شعرت من نفسها بحاجةٍ ماسَّة الى الصلوة

ولما كانت حالتها تضطرّها ان تخفي في قلبها الهموم والاحزان التي كانت تتأكلها فاصبح من اللوازم الضروريَّة لها ان تبيح بامرها لله تعالى اله الرحمة ومهبط التعزية الحقيقة. وكان على المركع الذي سجدت عليهِ كتاب صلوات وهو نفس الكتاب الذي كانت الراهبة تستعملهُ مصلّيةً ففتحتهُ بلا انتباه رجاء ان تجد فيهِ صلوة تناسب حالتها. ولكن حالما وقع بصرها على الصفحة الاولى استنتجت ان اسماً كان مكتوباً عليها وان ذلك الاسم كانت مُحيت كتابتهُ باعتناء فلم يبقَ منهُ الّا الحرف الاوَّل وهو «الواو» مرسومة بالخطّ الثلث. فوقع الكتاب بغتةً من يديها المرتجفتين ولم يبقَ لها من استطاعة الى الصلوة بل ثار ثائرها ونبض نابضها واضطرب بالها وشرعت تقلّب اوراق الكتاب اشكالاً والواناً طمعاً بان تبدو لها دلائل جديدة. على انَّ مسعاها كان باطلاً فان فحصها المدقّق لم يُجدِ تلك الوالدة التعيسة نفعاً. فاضحى ذلك الحرف (و) سبباً لانشغال بالها وباباً للحذر والتخمين

وبناء على ذلك اخذت الافتراضات الغريبة تتعاقب على ذهنها فخطر لها ان الراهبة اغنس ربَّما كانت بنتها «وردة» (ستاتي البقية)

شَذَرَاتٌ

مستثنيات وسفن مبرَّدة

جاء في المجلات الاوربية الاخيرة خبر يُسَرُّ لهُ كل من يقطن في البلاد الحارَّة. وهو

ان المسيو غرَفين احد مهندسي فرنسة قد اخترع جهازًا لتجميد الماء بقدر وافر وثابت. واذا أُدخلت هذه الآلة في قاعةٍ ما تنحطّ درجة حرارتها انحطاطًا كبيرًا ويتجفّف هواؤها. فلمّا كان هذا الاكتشاف على غاية الفائدة لتمريض المرضى رحل المهندس المذكور الى بلاد كوشنشين لإقامة آلات التبريد في المستشفيات الفرنسية

هذا وقد افادتنا الاخبار ان شركة بحريّة عظيمة عزمت على اقامة مثل هذه الآلات في مراكبها فكلّفت لجنةً علميةً من مهندسيها باختراع أجهزة تناسب بنية السفن واحوال الركاب معًا. والله المسؤول ان يكلّل سعيهم بالنجاح

مبتلعو السيوف

قال الطبيب رينيو في مجلّة الطبيعة ما تعريبهُ: كنتُ يومًا مجتازًا ببعض شوارع باريس واذا برجل قوي البنية ارتقى الى ملعب وبيدهِ سيف من سيوف الحِراب قد اشتراهُ من الجند وعرض شفرتهِ ثلاثة سنتيمترات. وبعد ان عرضهُ على جميع الحاضرين ليتأكدوا انهُ سيف حقيقي نكّس الرجل رأسه على ظهرهِ الى انْ مسَّ قفاهُ سلسلة الفقار. ثم ادخل السيف في فمهِ كما يُدخَل فيهِ انبوب من الكاوتشو لتغسيل المعدة. فضغطهُ بيدهِ وابتلعهُ دون ادنى صعوبة. وقد دخل السيف في بلعوم الرجل الى عمق اربعين سنتيمترًا الى ان مسَّ منفذ المعدة. فلمّا انتهى من ابتلاع السيف ترك مقبضهُ ووقف على تلك الحال نحو ثُلث من الدقيقة وهو لا يتكلّم ولا يتنفّس. ثم كرّر ذلك مرارًا ملتويًا على صدرهِ او راقدًا على ظهرهِ

فلمّا انقضى التمثيل استحضرتُ الرجل وسألتهُ عن امرهِ. فقال لي: ان عمرهُ اربعون سنة وانّهُ مُزاول لهذه الصناعة منذ ٢٥ سنة دون ان يشعر في مزاجه باضطراب ولا في جسمهِ بمرض. وانهُ قادر ان يبتلع السيف مئة مرّة في اليوم. ثم استأنف فقال: «انَّ الامر غير سهل بادئ البدء وقد قضيتُ لاجرائهِ اكثر من سنة. ولا يجوز في الابتداء ابتلاع السيوف لضيق البلعوم بل يجب استخدام آلات اصغر كالملاعق. ثم اذا اعتاد البلعوم نفوذ هذه الآلات يُجرَّب السيف. وهذا كما قلتُ صعب جدًّا في السنة الاولى»

فوا عجب من حرفة كهذه وكثيرًا ما نسمع الناس يقولون ان الامر من الشعوذات المحضة

حلّ اللُّغز الرياضي المدرج في الصفحة ٦٢٠

لحلّ هذا اللغز طريقتان جبريّة وحسابية وقد اصاب في حلّهِ اوّلًا احد المعلّمين في

مدرسة القديس لويس للاباء اليسوعيين في صيداء ثمَّ الشماس اكاكيوس مُحوَّل احد طلبة الرياضيات في مدرسة دير الصابغ · وهاك الجواب كما عرضهُ الشماس المذكور:

الطريقة الجبريَّة

عمر ديوفنت كلهُ صبي شاب متزوج دون اولاد لهُ اولاد ثاكل

ك = ك/٦ + ك/١٢ + ك/٧ + ٥ + ك/٢ + ٤

بالجبر ٨٤ك = ١٤ك + ٧ك + ١٢ك + ٤٢٠ + ٤٢ك + ٣٣٦

بالجمع والمقابلة ٩ك = ٧٥٦ ثم ك = ٨٤ الجواب

الطريقة الحسابيَّة

عمر ديوفنت كلهُ صبيٌّ شابٌّ متزوج دون اولاد لهُ اولاد ثاكل

١ = ١/٦ + ١/١٢ + ١/٧ + ٥ + ١/٢ + ٤

بالجمع ١ = ٧٥/٨٤ + ٩ ثمَّ ٧٥/٨٤ من ٨٤/٨٤ = ٩/٨٤ = ٩ سنة و ١/٨٤ = ١ سنة و ٨٤/٨٤ و ٨٤ سنة الجواب

فكان اذن عمر ديوفنت ٨٤ سنةً

كتب شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE L'ÉCOLE DES LANGUES OR. VIVANTES.

I. 'Oumara du Yémen, sa vie et son œuvre, *par H Derenbourg*, I, *Paris*, 1897, pp. XVI-406

كتاب النُّكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمني يليهِ قصائد من ديوانهِ

II. Documents arabes relatifs à l'Histoire du Soudan, *texte arabe édité par O. Houdas et E. Benoist Paris*, 1898, pp. 326

تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن بن عبدالله السعدي

III. Description des Iles de l'Archipel, *par G. Buondelmonti texte et traduction française par E. Legrand*, I, *Paris*, 1897, pp. XL-260.

لا تزال المدرسة الباريسية لتدريس الالسنة الشرقية ساعية في نشر التآليف الجليلة التي من شأنها ان تعرّف احوال الشرق وتحيي ما درس من آثار الشرقيين · وهذه الكتب الثلاثة قد صدرت حديثاً من دار طباعتها .

١ فالكتاب الاوّل يتضمّن شيئاً من اعمال بعض أئمّة ادباء العرب وهو الفقيه نجم الدّين ابو محمّد المعروف بعمارة اليمنيّ اشتهر هذا الكاتب في القرن السادس للهجرة ودخل مصر ومدح صلاح الدين الايوبي بقصائد غرّاء ثم دسّ لهذا السلطان الدسائس مع جماعة من المصريين فأحسّ بهم صلاح الدين وشنقهم بالقاهرة سنة ٥٦٩ (١١٧٤ م) . ولعمارة المذكور تآليف كثيرة اخصّها الكتابان اللذان قام بنشرهما المعلّم هرتفيك دِرنْبرغ اعني كتاب النُّكَت العصريّة وديوان شعرهِ . فالاوّل يشتمل على اخبار المؤلف ونسبهِ واسفارهِ ودخولهِ مصر ومكاتباتهِ نثرًا ونظماً مع اعيان العصر ولا سيَّما الوزراء المصريين وهو كتاب من انفس كتب الادب وضعهُ صاحبهُ على طريقة حسنة اللهجة كثيرة التفنُّن جمّة الفوائد . امَّا فحوى الثاني فنخبة من ديوان عمارة تبلغ ٢٥٠ صفحة اختارها حضرة الواقف على طبعهِ وترك ما لم يجد في نشره كبير امر . وكنَّا وددنا لو نشرهُ بتمامهِ وذلك بلا شك اولى وانفع . وعلى كلّ حال نثني على همَّة العلاّمة درنبرُغ الذي يتحفنا بمثل هذه الطرائف . وقد طُبع الكتاب بحرفنا الاسلامبوليّ وأُتقن طبعهُ

٢ وموضوع الكتاب الثاني اخبار السودان التي لم يبلغنا منها الّا النزر القليل وقد اسعد الحظُّ المستشرقَيْن هوداس وبنوا على وجود ثلاث نسخ من تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمران بن عامر السعديّ . والمؤلف من ادباء القرن الحادي عشر للهجرة كان لهُ خبرة في احوال السودان والدول التي تعاقبت في الملك عليهم منذ القرن التاسع الى زمانهِ فوصفهم وصفاً مدقَّقاً وذكر كثيرًا من العلماء والافاضل الذين اشتهروا في تلك البلاد . ولهذا التأليف شأنٌ كبير لمعرفة تلك الاصقاع التي كاد الاوربيون يجهلونها في اوائل هذا العصر . وفي معرض الكتاب الفاظ واسماء تُشعر بلغات قبائل افريقية . وقد فُصِل هذا التاريخ الى عدَّة فصول توفيرًا للفائدة الّا أنَّهُ تشوّهُ الطبعةَ اغلاط كثيرة لم تُصلح

٣ امَّا مضمون الكتاب الثالث فهو وصف جزائر الارخبيل كتبهُ باللاتينية في اوائل القرن الخامس عشر للمسيح كريستوفود بووندِلْمونتي الفيرنسيّ وطُبع مرارًا لكثرة فوائدهِ . الّا انَّ هذه الطَّبعات كانت سرت اليها عدَّة تصحيفات مسخت المعنى لفقد اصل الكتاب فوجد المستشرق لِغران احد مدرّسي اللغات الشرقية في مكتب باريس نسخة قديمة خطّيَّة باليونانية نقلت من نسخة مصونة في الاستانة العلية فعُني بطبعها وترجمها الى

الفرنسية وزاد عليها مقاطيع من الاصل اللاتيني لم تُعرَف بعد. ومن الصفات المحسّنة لهذه الطبعة اثنتان وخمسون خارطة تمثل اعظم جزائر الارخبيل رسمها عن نسخة لاتينية قديمة موجودة في خزانة الكتب الخطّية في باريس

LES ÈRES DE TRIPOLIS DE PHÉNICIE

par le Dʳ J. Rouvier, Paris, 1898, pp. 32.

تواريخ مسكوكات طرابلس

قد اهدانا البارع الهمام الدكتور جول روفيه احد المدرّسين في مكتبنا الطبّي مقالة نشرها في المجلّة الاسيوية ثمّ طبعها على حدة يبحث فيها على ما جاء لمدينة طرابلس الشام من التواريخ في المسكوكات التي ضربتها قديمًا. وقد بيّن فيها امرًا جهلهُ ارباب العاديّات ممّن عُني قبلهُ بوصف نقود طرابلس وهو انّ هذه المدينة لمّا استقلّت بالحكم كصور وصيدا. وتحرّرت من ربق الملوك السلوقيين في سنة ١١١ قبل المسيح جعل اهلها يضربون لهم نقودًا مستقلة مؤرخة بتاريخ الاسكندر. ثمّ اتخذوا لهم تاريخًا وطنيًا مختلفًا عن تاريخ اليونان بدؤهُ في سنة ١٠٥ ق م. وقد وجد الدكتور روفيه اربعة اصناف من النقود المضروبة بهذا التاريخ منها فضيّة ومنها نحاسية فوصفها وصفًا دقيقًا يعرب عن كثرة علمهِ بهذه العاديّات. ثمّ اثبت انّ هذا التاريخ لم يزل مستعملًا الى سنة ٧٤ ق م ويعلّل انقطاع المدينة عن ضرب نقود مستقلّة بتولّي بعض البُغاة المدعو ديونيس الذي قتلهُ القائد الروماني پومپيوس سنة ٦٣. هذا وقد بيّن ايضًا انهُ قد نُقش عليها تاريخ اكسيوم من سنة ٣١ ق م الى سنة ١٣ ب م فضلًا عن المسكوكات التي ضربت في طرابلس إجلالًا لمرقس انطونيوس وكلاوبترة وعليها رسمها مع تاريخ ملك كلاوبترة ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سألنا سعادة قنصل ايطالية في بيروت من هم السُّكمان الذين ورد ذكرهم مرارًا في تاريخ اعيان لبنان

السُّكمان

ج السُّكمان ويقال لهم السُّكبان (ويلفظ سيمان) احد اقسام الينكشرية الاربع. فكان القسم الاول يدعى جاعات يشتمل على مئة أُورطة. وكان القسم الثاني يعرف

بالبولوق اي الجند يتركّب من احدى وستين اورطة. ويسمّى القسم الثالث سُكبان ومناها الصيادون مجموعهُ اربع وثلاثون اورطة . امّا الرابع فلم يتضمَّن سوى اربع اورطات وكان اسمهُ سرلاك اي نشّابين (راجع Hist. de l'Empire Ottoman, *par Hammer*, XV, 216)

س .. اقترح علينا احد السادة الاجلاء الجواب على الاسئلة الآتية: «١ً هل كان القديس يوحنّا الدمشقي يتكلّم العربية وهل لهُ فيها كتابات وماذا كانت لغة دمشق في عصرهِ. ٢ً ما هي تآليف يوسيفوس بن كريون وما اسم كتابهِ المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٢ ومن هو مترجمهُ وهل الترجمة صحيحة ولاسيّما ترجمة ما كتبهُ عن المسيح. ٣ً هل كانت مريم العذراء تعرف انّ ابنها اله قبل موتهِ وقيامتهِ. وان كانت تعرف ذلك فكيف اضطربت لفقدهِ وعادت الى اورشليم متوجّعة ولمّا وجدتهُ قالت لهُ «لِمَ صنعتَ هكذا الخ» ولمّا اجابها «انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي . . . لم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما»

القديس يوحنّا الدمشقي ولغتهُ

ج نجيب على الاوّل انّ لغة القديس يوحنّا الدمشقي كانت كلغة اهل دمشق في عصرهِ اليونانية وكانت هي اللغة الشائعة في بلاد الشام اللهمَّ الّا القرى والجبال فان سكّانها كانوا يتكلّمون بالسريانية. اما العربية فكان يتكلّم بها العرب المستولون على البلاد وعمّالهم. والقديس يوحنّا الدمشقي لم يكُ جاهلاً لهذه اللغة يؤخذ ذلك اوّلاً من مقام اجدادهِ بني المنصور عند الخلفاء (راجع ترجمة القديس يوحنا الدمشقي التي طبعناها سنة ١٨٩٥ ص ١٨) ثمَّ ثانياً من رتبتهِ الخاصّة التي كانت تقتضي منهُ معرفة هذه اللغة فانّهُ كان على الرأي الارجح متولّي الجباية المفروضة على الرعيّة من النصارى. والكتبة اليونان يصفونهُ بمستشار اوّل (πρωτοσύμβουλος) فكان لذلك يتوسّط بين بني جلدتهِ والعرب. وجاء في ديوان الاخطل (ص ٣٤٦) ما يؤيّد ذلك. امّا تآليف القديس يوحنّا الدمشقي فكلّها باليونانية لانهُ كتبها لافادة نصارى بلادهِ المتكلمين في ذلك العهد باليونانية

يوسيفوس وتآليفهُ وشهادتهُ على المسيح

٢ نجيب ثانياً: انّ ليوسيفوس المؤرّخ اليهودي في اليونانية كتباً جليلة تفيدنا الافادات الجمّة عن اليهود واخبارهم وتواريخهم اوّلها كتاب العاديّات اليهودية في عشرين

كتاباً ثم كتاب الحرب اليهودية في سبعة كتب. وله كتابان يردُّ بهما على ابيون مدافعاً عن قدم تاريخ اليهود مع مقالة على المكابيين وترجمة حياتهِ . هذا وعنوان كتابهِ المطبوع في بيروت «تاريخ يوسيفوس» وهو ملخص صغير عن كتابيهِ العاديات والحرب اليهودية الآنف ذكرهما. اما الشهادة التي وردت في الصفحة ٢١٤ منهُ وفيها ذكرُ المسيح ومعجزاتهِ وظهورهُ لتلاميذهِ بعد صلبهِ فهي موافقة للاصل اليوناني مثبتة في اقدم النسخ الخطّية التي بأيدينا من اعمال يوسيفوس. وقد حاول البعض انكارها فلم يقدروا على ذلك (راجع طبعة F. Didot الجزء الاول ص ٢٢٧)

كيف امكن للعذراء مريم ان تتوجَّع على فقد المسيح مع علمها بلاهوتهِ

انَّ معرفة العذراء للاهوت ابنها المسيح منذ حلولهِ في احشائها الطاهرة امرٌ لا يرتاب فيهِ الّا من شرد عن صراط دين النصرانية والدليل على ذلك ما سمعتهُ من الملاك لمّا خاطبها قائلاً: «وابن العليّ يُدعى». وما فاهت بهِ البتول نفسها في تسبحتها: «لتعظّم نفسي الربَّ... لانَّ القدير صنع فيَّ عظائم». اما توجّع البتول عند فقد يسوع في الثانية عشرة من عمرهِ فذلك امرٌ لا يخلّ بمعتقد البتول بلاهوت المسيح وقد شرح هذا اوريجانس في ردّهِ على كِلْس الوثنيّ وغيرهُ من الآباء. فقالوا: انّما تطلّب يسوع ابواهُ خشيةً منهما ان يكون انفصل عنهما لنقصٍ فرط منهما في حقّهِ. او يكون منذ تلك الساعة بارحهما لمهمّاتهِ. او اصابهُ اذى من اعدائهِ وهما يعلمان ما تنبّأ عنهُ الانبياء من الاوجاع والآلام. أفليس ذلك كافياً ليقلق قلب والدةٍ شديدة الحبّ لابنها كمريم العذراء.

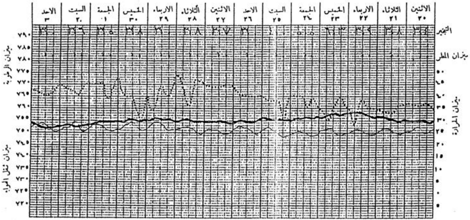
امّا قول الكتاب «فلم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما» فليس معناهُ أنّهما لم يعلما بكونهِ المسيح ابن الله ولكن لم يعرفا متى واين وعلى اي طريقة كان يريد ان يتمم مشيئة ابيهِ السماوي وكيف كان يريد تعليم البشر وارشادهم الى الخلاص ففهما ذلك بعدُ تدريجاً

س كتب الينا من بيروت الفاضل س. ر: قرأنا في العدد الاخير من المقتطف (يوليو ١٨٩٨ ص ٥١٤) في حاشية: «ان هوراس شاعر يوناني ولد سنة ٦٤ قبل المسيح» أفتعرفون شاعراً يونانياً بهذا الاسم

شاعر يونانيّ جديد

ج لا علم لنا بشاعر يوناني يدعى هوراس: ولا شكّ ان مراد اصحاب المقتطف الشاعر «الروماني» هوراس الشهير فتشبّه عليهم الامر ل. ش

قائمة للآثار الجوية   من ٢٠ حزيران الى ٣ تموز   ١٨٩٨



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امَّا الخطّ المنقط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات